الفصـــــــــل الأول

النظام الصوتي للعربية

"التأسيس النظري"

- الحروف العربيـــــة
- عددها وترتيبهـــــا
- مخارجها وصفاتها

obeikandl.com

تمهيد

يعد المبحث الصوتي الخطوة الأولى للدارس اللساني، لأن الصوت أصغر وحدة في اللغة، وهي في حقيقتها أصوات ارتبطت بالإنسان منذ وجوده، ولازمته في مسيرته التاريخية، وهاهي اليوم تقوم شاهدا على حضارته بمختلف مستوياتها، وتنوع ثقافاتها.

وماكان هذا المنهج ليغيب عن أذهان علماء العربية قديما، وما استطاعوا الاستغناء عن الدرس الصوتي عندما أسسوا لعلوم اللغة وفنون القول، لكنهم لم يفردوه، ولا خصوه بالتصنيف في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، إنما عالجوه مختلطا بغيره من العلوم، فتناولوه مع النحو والصرف والبلاغة والنقد والمعجم والتفسير وغيره من علوم القرآن. واقتصرت جهودهم في ذلك على الجانب النطقي، وعلى تأثير الأصوات بعضها في بعض كالإبدال والإدغام وغيرهما ...

خصص النحاة بعض الأبواب في كتبهم للدراسة الصوتية، وجعلوها تمهيدا لتحليل بعض الظواهر الصوتية. منهم سيبويه (١٨٠هـ) الذي جاء في نهاية مؤلفه ذكر للأصوات حيث جعلها تمهيدا لدراسة الإدغام، قال : "إنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف مايحسن فيه الإدغام، ومايجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك، ولا يجوز فيه"[١] . كما عالج المبرد (٢٨٥هـ) الإدغام في بداية مصنفه في النحو، فمهد له بمخارج الحروف وصفاتها، وفي ختامها قال : "وإنما قدمنا هذه المقدمات في مواضع الأصول لنجريها في مسائل الإدغام"[٢] . ويسلك ابن السراج (٣١٦هـ) منهج سابقيه ويختم أصوله بدراسة الإدغام[٣] .

ويتضح مما ذكرنا أن الدرس الصوتي لدى هؤلاء الرواد من النحاة كان وسيلة لدارسة بعض الظواهر اللغوية، وما جعلوه علما مستقلا قائما بذاته، وظلت هذه الرؤية حاضرة في أعمال المتقدمين من النحاة واللاحقين كذلك إلى ابن مالك[٤] (٦٧٢هـ) وأبي حيان[٥] (٧٤٥هـ). حتى عندما انفصل علم الصرف عن النحو جعلوا علم الأصوات تبيعا للصرف. تلك منهجية التزموا بها في بعض أمهاته مثل الممتع للإشبيلي[٦] (٦٦٩هـ) وشرح الشافية للأستراباذي[٧] (٦٨٦هـ) والمبدع الملخص من الممتع لأبي حيان[٨].

١- الكتاب ٤/٤٣٦.
٢- المقتضب ١/١٩٦.
٣- الأصول في النحو ٣/٣٩٩.
٤- ينظر مثلا تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص ٣١٩ وما بعدها.
٥- ينظر مثلا ارتشاف الضرب من لسان العرب ١/٣ ومابعدها.
٦- الممتع في التصريف، ١/ ٣١٧ وما بعدها، و ٢/٦٣١.
٧- شرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٥٠ ومابعدها.
٨- المبدع الملخص من الممتع، ص ٨٤ وما بعدها.

كذلك تناول أصحاب المعجمات ظواهر صوتية في مقدمة مؤلفاتهم، وفي متنها، وجلي منحاها فيما رتبت على أساس صوتي مثل معجم العين للخليل (١٧٥هـ) وتهذيب اللغة للأزهري (٣٧٠هـ).

وأسهم في المبحث الصوتي علماء التجويد والقراءات بجهد لا ينكر[١]. كان كل مؤلف يتعرض لمخارج الحروف وصفاتها والإدغام والإبدال والهمز والتسهيل وغير ذلك، وشاركهم في هذا الميدان المؤلفون في علوم القرآن وإعجازه وعلوم البلاغة والنقد كالفراء (٢٠٧هـ) وأبي عبيدة (٢١٠هـ) والأخفش الأوسط (٢١٥هـ) والجاحظ(٢٥٥هـ) وابن قتيبة (٢٧٦هـ) والرماني (٣٨٤هـ) والباقلاني (٤٠٣هـ) وابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) وغيرهم.

وامتد هذا الانشغال إلى الرئيس ابن سينا الطبيب الفيلسوف (٤٢٨هـ) فألف رسالة صغيرة في علم الأصوات، عرض فيها أسباب حدوث الحروف ومخارجها كما تعرض لتشريح الحنجرة ووصف أجزائها.

وكانت أعمال ابن جني (٣٩٢هـ) فاتحة لتطور كبير في علم الأصوات، وهي الاعتراف الأول باستقلاله عن بقية العلوم، إنه أول من فصله وأفرده بالتأليف في كتاب مستقل سماه "سر صناعة الإعراب". تناول فيه عدد الحروف وترتيبها ومخارجها وصفاتها، وما يعرض لها من أحوال، نص قائلا : "وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها وأحكام مجهورها ومهموسها وشديدها ورخوها..."[٢] وأطلق على هذا الاختصاص المعرفي مصطلحه العلمي في قوله : "ولكن هذا القبيل من هذا العلم أعني **علم الأصوات** والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم"[٣].

وتأثر العلماء بأعمال ابن جني، ونقلوا عنه كثيرا من مباحث علم الأصوات. نقل عنه النحاة والبلاغيون وعلماء النقد وأصحاب المعجمات وعلماء التجويد والقراءات، لاينازعه هذه المكانة إلا سيبويه في كثرة مانقل عنه.

و كان للعلماء المحدثين دور هام في إحياء الدرس الصوتي، وبعثه اختصاصا علميا يجتهد فيه الباحثون في المعاهد والجامعات، وتنجز فيه الرسائل والاطروحات. وكان لهم الدقة في المنهج والتحديد في المصطلح. فظهرت مصنفات عديدة في هذا الميدان تتسم بالاختصاص. فألف إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية سنة ١٩٤٨) وتمام

١- ينظر مثلا غانم قدور الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، وهي أطروحة دكتوراه في أصلها.

٢- ابن جني، سر صناعة الاعراب، تحقيق مصطفى السقا ومحمد الزفزاف وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٤، ج١، ص٣. اما الجزء الثاني فهو من تحقيق الدكتور حسن هنداوي، نشر دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق، بيروت، ١٩٨٥.

٣- نفسه ١/١٠.

حسان (مناهج البحث في اللغة سنة ١٩٥٥). ومحمود السعران (في علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي سنة ١٩٦٢) وعبد الرحمن أيوب (في أصوات اللغة سنة ١٩٦٣) وكمال محمد بشر (علم اللغة العام – الأصوات سنة ١٩٧٠) وأحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي سنة ١٩٧٦) وغيرها من الكتب اللغوية التي تناولت علم الأصوات بشئ من التفاوت بينها. منها ما ألفه من ذكرنا، ومنها ما ألفه آخرون أمثال محمود فهمي حجازي ورمضان عبد التواب وعبد الصبور شاهين وغيرهم.

و كذلك كان لفئة من المستشرقين جهود متميزة في علم الأصوات مثل محاضرات برجستراسر في الجامعة المصرية سنة ١٩٢٩. التي طبعت باسم " التطور النحوي للغة العربية " وكتاب "جان كانتينو Cours de phonétique Jean Cantineau » Arabe « الصادر بباريس سنة ١٩٦٠، والذي ترجمه الأستاذ صالح القرمادي بعنوان "دروس في علم أصوات العربية". وكتابي "هنري فلايش Henri Fleisch" : Traité de philolagie Arabe الذي صدر ببيروت سنة ١٩٦١، وكتاب L'Arabe classique الصادر سنة ١٩٦٦، والذي ترجمه الدكتور عبد الصبور شاهين بعنوان : "العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد". وغيرها من البحوث والمقالات التي نشرت بمختلف اللغات في كثير من البلدان.

وقبل أن نبدأ الحديث عن الدراسة الصوتية عند العرب بدا لنا من المفيد أن نعرض لبعض المصطلحات التي درج عليها القدماء، وأكثروا من ذكرها في كتبهم. فشاعت في البيئات العلمية، وصار الإقلاع عنها صعبا جدا. بل أصبح استعمالها لازما في كل بحث يتناول جهود القدماء، ولو كان بها تداخل، لكونها لم تفرق بين المنطوق والمكتوب في وضع المصطلح الصوتي بالخصوص.

من هذه المصطلحات :

١ – الحيز : مكان النطق، ويعني منطقة أوسع من المخرج بحيث يضم مجموعة من المخارج المتقاربة مثل حيز الشفتين[١]، وهو ما يشمل مخارج الحروف الشفوية (ب وف م).

٢ – المخرج : موضع خروج الصوت وتمييزه من غيره. قال ابن يعيش : "والمخرج هو المقطع الذي ينتهي الصوت عنده"[٢].

٣ – الحرف : حد منقطع الصوت وغايته وطرفه[٣]. وأطلق على عناصر الأبجدية سواء أكان صامتا أم صائتا (حركة طويلة)، وهو مرادف للصوت في عرف القدماء : "الحرف إنما هو صوت مقروع في مخرج معلوم"[٤].

١- كتاب العين ٦٤/١.
٢- شرح المفصل ١٢٤/١٠.
٣- صناعة الاعراب ١٦/١.
4- شرح المفصل ١٢٤/١٠ .

٤ – الصوت : جنس لكل ما وقع في أذن السامع[1]، قال ابن جني : "اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا" [2]. وعرفه ابن سينا بقوله : "الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة وبقوة وبسرعة من أي سبب كان"[٣] . وأضاف : "والحرف هيئة للصوت عارضة له"[٤] .

يبدو – مما سبق – أنهم خلطوا بين الحرف والصوت، وعبروا عنهما في غالب الأحيان بمصطلح الحرف، وهم يقصدون به المنطوق والرمز المكتوب، وذلك بسبب اعتمادهم على اللغة المكتوبة غير أنهم أطلقوا على الحركات (الفتحة والكسرة والضمة) مصطلح الصوت، ولم يطلقوا عليها لفظ الحرف. ونحن مضطرون في قبول هذه الاستعمالات لاعتمادنا على نصوصهم في البحث.

1- معجم مقاييس اللغة (صات) ٣١٨/١.

2- صناعة الاعراب ٦/١.

3- أسباب حدوث الحروف، ص ١٢.

4- نفسه، ص ١٠.

obeikandl.com

الأصـــوات العربية

لكل لغة أصوات يتلقاها أبناؤها منذ صغرهم، فيلتزمونها في خطابهم اليومـــي، ولا يخرجون عنها إلا بقدر. ذلك المقدار تفرضه لهجة كل جماعة، فيتميز هذا مـن ذاك بعاداته النطقية، وربما فاضل بها غيره ممن يتبعون أنماطـــا مغـــايرة. ولعـــل منشـأ الاختلاف بين اللهجات في عدد أصواتها وصفاتها يكمن في هذا القبيل من المفارقات .

لقد خشي العرب –بعد امتزاجهم بالأمم المفتوحة– تأثير لسان الأعـــاجم علـــى لغتهم، فهبوا إلى ضبطها، وبادروا إلى وصف النطق العربي الفصيح، فحددوا مخـارج الأصوات، ودققوا في صفاتها، وبينوا تأثير بعضها في بعض. وما أشرف القرن الثاني الهجري على النهاية حتى ظهر الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـــ) رائـــدا للبحـــث اللغوي العربي، فمؤلفا في علم الأصوات، مكتشفا لعلم العروض، شـــغوفا بالموســـيقى عموما. لا يجاريه فيها ذواقة. وما جانب المؤرخون الصواب حين اعتـــبروا البحـــث اللغوي قد استوى على يد هذا العالم الجليل، وإليه يعزى أول معجم عربي، وكان قـــد رتبه على أساس صوتي، فبدأ بحروف الحلق وانتهى بحروف الشفتين[١]، فخالف فـــي ذلك الترتيب الأبجدي والالفبائي الهجائي التعليمي .

و كان سيبويه أوفى تلاميذه، فقام بوصف أصوات العربية في الكتاب محددا مخارجـها، مبينا صفاتها، ذاكرا تأثير بعضها في بعض. وما زاد المتأخرون على ترديـــد كلامـــه وآرائه، فظلت رهينة مارسمه هو وأستاذه إلى أن جاء ابن جني، كما ذكرنا سابقا، فقـــام ببعض التجديد والتنظيم .

عددها وترتيبها

اختلف العلماء في عدد الحروف العربية ما بيـــن تســـعة وعشـــرين وثمانيـــة وعشرين. قال الخليل : "في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفـــا صحاحا. لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف، هي الواو والياء والألـــف اللينـــة والهمزة"[٢] .

١– وضع الخليل أول معجم في العربية وسماه العين. والعين أول حرف (حلقي) بدأ بـــه، وانتـــهى بآخر حرف (شفوي) وهو الميم. وليست العين أول الحروف مخرجا ولكنها أول الحروف نصاعة وثباتا. والهمزة –عنده– هي أول الحروف مخرجا. العين ٤٧/١.

٢– العين ٥٧/١. قلب الخليل ا ب ت ث فوضعها على قدر مخرجها من الحلف. وهذا تأليفـــه : ع ح هـــ خ غ، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م، و ا ي ء. العين ٤٨/١ .

وألغى المبرد الألف من أولها ويراها همزة لأنها لا تثبت على صورة واحدة[١].

يخالف سيبويه أستاذه، فيأتي بترتيب آخر مبتدئا بالهمزة -والخليل يختم بها- منتهيا بالواو، ملغيا مخرج الجوف، جاعلا الألف والهمزة من أقصى الحلق مع الهاء، والياء من وسط اللسان مع الجيم والشين، والواو من بين الشفتين مع الباء والميم[٢]. هكذا أعاد ترتيب الحروف الجوف أو الهوائية ووضعها في مخارج بعض الحروف الصحاح، وهو ما تبناه اللاحقون وساروا على نهجه. فلما استعصى عليهم نطقها، وهي ساكنة، وضعوها رديفا للام. وقالوا (لا) فاذا تحركت انقلبت همزة[٣].

يذكر ابن جني ترتيب الحروف بحسب مخارجها، مبتدئا بالحلقية، منتهيا بالشفوية مخالفا بذلك ترتيب الخليل وسيبويه : "فأما ترتيبها في كتاب العين، ففيه خطل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفا، مما رتبه سيبويه، وتلاه أصحابه عليه"[٤].

و لكن ابن جني يعود إلى الترتيب الألفبائي في مصنفه "سر صناعة الاعراب" ويعرض الحروف حرفا حرفا حسب ترتيبها التعليمي. وكان حريا به أن يهيكل مؤلفه بمقتضى الترتيب الصوتي كما ظهر عند الخليل، لأنه مصنف خاص بمباحث علم الأصوات .

والنتيجة التي تجلوها المقارنة فيما ذكره العلماء هي أنهم اختلفوا في رتبة الحروف التالية : الهمزة والقاف والضاد. فختم الخليل الحروف بالهمزة وثنى بها سيبويه بعد الألف، وأخر ابن السراج القاف بعد الكاف، ووضع ابن جني الضاد بعد الياء إذا جعلنا ترتيب سيبويه الأصل.

١- المقتضب ١٩٢/١. يرد عليه بعض العلماء منهم ابن جني وابن يعيش. يقول ابن عصفور : "وهذا الذي ذهب إليه أبو العباس فاسد، لأن الهمزة لو لم تكن حرفا لكان أخذ وأكل وأمثالها على حرفين خاصة. لأن الهمزة عنده ليست حرفا وذلك باطل. لأن أقل أصول الكلمة ثلاثة أحرف فاء وعين ولام" الممتع ٦٦٣/٢.

٢- قال سيبويه في الكتاب ٤٣١/٤ : " فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا : ا ء ع ح غ خ ك ق ض ج ش ي ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و" وتبني هذا الترتيب ابن السراج ما عدا تقديمه القاف على الكاف. الأصول ٣٩٩/٣ .

٣- صناعة الاعراب ٣٧/١.

٤- نفسه ٥٠/١، ٥١. وقد رتبها كالتالي : "ء ا هـ ع ح غ خ ق ك ج ش ي ض ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و.

مخارجها

للإنسان جهاز تقوم أعضاؤه بإصدار الأصوات. وما كان ميسورا على القدماء أن يخصوه بحديث مستقل، ولا بوصف شامل بسبب انعدام الوسائل التي تساهم في ذلك، ولكن يمكن للباحث أن يستنتج تصورهم له، ومعرفتهم ببعض وظائفه، وكيفية إصداره للأصوات، وصفاتها من خلال حديثهم عن مخارج الحروف .

تحد ثوا عن الجوف والحلق وأقسامه وعن اللهاة واللسان وأقسامه وعن الحنك الأعلى والأسنان والأنف والفم والشفتين، ولم يعرفوا قبل ابن سينا دور الحنجرة ولا الوترين الصوتيين في إنتاج الأصوات[١] . إنما كانوا ينسبون إلى الجوف أوالصدر، وكان منهم ذلك بسبب أنهم يعتمدون الملاحظة الخارجية، وليس لهم من الوسائل ما يمكنهم من اكتشافها ومعرفة دورها في جهاز النطق، فإذا ماعوضنا تشريح ابن سينا للحنجرة بمخرج الجوف عند الخليل وجدنا ثلاثة أجزاء، هي : الحنجرة والقصبة الهوائية والرئتان[٢] .بهذا التوضيح يتم جهاز النطق بكل أعضائه كما يعرفه الدارسون المحدثون.

اختلف القدماء في عدد مخارج الحروف، فذهب الخليل إلى أنها سبعة عشر مخرجا وأسقط منها سيبويه مخرج الجوف، ونزل بها بعضهم إلى أربعة عشر مخرجا، وعلى المذهب الأول علماء القراءات مثل مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) وأبو القاسم الهنذلي (٤٦٥هـ) وأبو الحسن شريح (٥٣٩هـ) وابن الجزري (٨٣٣هـ)[٣] . وسار على المذهب الثاني كثير من النحاة كالمبرد وابن السراج وابن جني وابن يعيش(٦٤٣هـ). وابن مالك وأبوحيان[٤] والمذهب الثالث مذهب قطرب (٢٠٦هـ) والفراء (٢٠٧هـ) والجرمي (٢٢٥هـ) وابن دريد (٣١١هـ) وابن كيسان(٣٢٠هـ) وغيرهم[٥] ممن جعلوا مخرج اللام والنون والراء واحدا، ومنهم من جعلها ثلاثة.

ولمعرفة مخرج الحرف والتحقيق منه يكون بابتداء همزة الوصل جائيا بالحرف ساكنا ملحوظا به صفات ذلك الحرف[٦] أو يؤتى به مشددا بعد همزة وصل[٧]. لأن "النطق بحرف واحد متعذر وغير ممكن، إذ لابد من الابتداء بمتحرك، والوقوف على ساكن،

١- عبد الله بوخلخال، التحليل الصوتي للتغيرات الصرفية عند النحاة العرب، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة القاهرة، ١٩٧٨، ص ٣٠.

٢- الرئيس ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص ١٢.

٣- النشر في القرءات العشر ١٩٩/١.وينظر العين ٥٨/١.

٤- ينظر الكتاب ٤٣٣/٤ والمقتضب ١٩٢/١ والأصول ٤٠٠/٣ وصناعة الإعراب ٥٢/١، ٥٣ وشرح المفصل ١٢٦/١٠ وارتشاف الضرب ٤/١.

٥- ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص ١٠٥.

٦- صناعة الإعراب ٧/١ وارتشاف الضرب ٧/١، ٨.

٧- النشر ١٩٩/١.

وما يمكن ذلك في أقل من حرفين الأول منهما متحرك والثاني ساكن"[١] . والحركة تأتي بعد الحرف في المرتبة، لأنك إذا أشبعتها تممتها حرف مد[٢].

ولحروف العربية ستة عشر مخرجا -عند النحاة -[٣] نبينها كما يلي :

١٦ -١- أقصى الحلق وهو للهمزة والهاء والألف، وزعم الأخفش أن الهمزة أول، وأن الألف والهاء في رتبة واحدة لا قبلها ولا بعدها[٤] وكذلك زعم أبوالعباس المهدوي وغيره أن الهمزة أول ثم الألف ثم الهاء[٥] والذي يدل على فساد ذلك وصحة قول سيبويه أنك متى حركت الألف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل فقلبتها همزة، ولو كانت الهاء معها لقلبتها هاء، وهذا واضح غير خفي[٦] .

١٦-٢- وسط الحلق، وهو للعين والحاء، وظاهر كلام سيبويه أن الحاء بعد العين، وجعلها الخليل أول حروف الحلق، ورتبها المهدوي وأبو الحسن شريح بعد الحاء[٧].

١٦-٣- أدنى الحلق إلى الفم، وهو للغين والخاء. وهذا ترتيبها عند سيبويه، ونص مكي على تقديم الخاء على الغين[٨]، وذهب ابن خروف (٦١٠هـ) إلى أن سيبويه لم يقصد ترتيبا فيما هو من مخرج واحد[٩]. ولكن الدراسات الحديثة دلت على صحة كلام سيبويه. فلكل صوتين من أصوات الحلق حيز معين يحلان فيه معا دون ترتيب لأحدهما على الآخر[١٠].

ويضيف إبراهيم أنيس قائلا : "ولسنا نجد في كلام سيبويه مايؤخذ عليه بصدد أصوات الحلق سوى إقحامه فيها ماسماه بالألف. ويبدو أن بعض المتأخرين قد رجعوا عن هذا. إذ لا نجد إشارة للألف بين أصوات الحلق في كتاب النشر"[١١].

١٦-٤- أقصى اللسان، وهو للقاف مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك، قال شريح : مخرج القاف من أول اللهاة مما يلي الحلق ومخرج الخاء منه[١٢].

١- ابن سنان، سر الفصاحة، ص ٢٣.
٢- صناعة الإعراب ٥٢/١.
٣- يظر الكتاب ٤٣٣/٤ والمقضب ١٩٢/١ والأصول ٤٠٠/٣ وصناعة الإعراب ٥٢/١، ٥٣ وشرح المفصل ١٢٦/١٠ وما بعدها وشرح الشافية ٢٥٠/٣ ومابعدها والتسهيل ص ٣١٩ وما بعدها وارتشاف الضرب ٤/١ ومابعدها والمبدع الملخص من الممتع ص ٨٧.
٤- صناعة الإعراب ٥٢/١.
٥- ارتشاف الضرب ٦،٥/١ والنشر ١٩٩/١.
٦- صناعة الإعراب ٥٢/١.
٧- ارتشاف الضرب ٥/١.
٨- نفسه ٥/١، ٦ والنشر ١٩٩/١.
٩- نفسه ٦/١.
١٠- ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص١١٣.
١١- نفسه ص١١٤ وينظر النشر ١٩٩/١.
١٢- ارتشاف الضرب ٦/١.

١٦-٥-أقصى اللسان، وهو للكاف .من أسفل مخرج القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك.

١٦-٦- وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك، وهو للجيم والشين والياء. وزعم الخليل أن الياء هوائية لا مخرج لها كالألف والواو[١] .

١٦-٧- أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر، أو الأيمن عند الأقل[٢] . وهي من الجانبين عند سيبويه[٣] . وهو مخرج الضاد وجعلها الخليل شجرية من مخرج الجيم والشين[٤] .

١٦-٨- من أدنى حافة اللسان إلى منتهى طرفه مما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية وهي للام.

١٦-٩- من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا متصلا بالخيشوم وتحت اللام قليلا، وهو للنون.

١٦-١٠- من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا غير أنها أدخل في ظهر اللسان قليلا من النون، وهو للراء.

١٦-١١- مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدا إلى جهة الحنك، وهو للتاء والدال والطاء.

١٦-١٢- مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى، وهو للزاي والسين والصاد.

١٦-١٣- من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، وهو للظاء والثاء والذال.

١٦-١٤- من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، وهو للفاء.

١٦-١٥- مما بين الشفتين فتنطبقان في الباء والميم، ولا تنطبقان في الواو.

١٦-١٦- الخياشيم، وهو للنون الساكنة الخفيفة المخفاة التي لم يبق منها إلا الغنة[٥]

.قال المبرد : "فأما النون الساكنة فمخرجها من الخياشيم نحو نون منك وعنك".

هذه هي المخارج التي درج على ذكرها كبار النحاة، وقد وجدنا النقول بنصها في كثير من الأحيان، يأخذها المتأخر عن المتقدم، ولا يكاد يحيد عنها إلا بشيء من التغيير اللفظي اليسير. أما كتب القراءات فقد اتبعت مذهب الخليل وجعلت لحروف المد مخرج الجوف وهو المخرج السابع عشر عندهم. وتسمى حروف المد واللين والهوائية والجوفية : "وإنما نسبت إلى الجوف لأنه آخر انقطاع مخرجهن"[٦] . فليس لها حيز تنسب إليه إلا الجوف.

١- العين ٥٧/١ .

٢- ارتشاف الضرب ٦/١ .

٣- الكتاب ٤٣٣/٤ .

٤- العين ٥٢/١ .

٥- المقتضب ١٩٣/١. قال ابن جني في سر صناعة الإعراب ٥٣/١ : "وأما النون المتحركة فمن حروف الفم كما قدمنا إلا أن فيها بعض الغنة من الأنف".

٦- العين ٦٤/١ وينظر ارتشاف الضرب ٧/١ والنشر ١٩٩/١ .

الحروف الفروع

إن الحروف التي ذكرنا مخارجها قبل حين هي الأصول في نظر علماء العربية. لها رسم في الكتابة، وصورة في الخط. يتعلمها الناس ويكتبون بها، ولبعضها فروع ذكرتها كتب التراث، وأشارت إلى أنها كانت جارية على الألسن، تتبين بالمشافهة، وهي بلاشك مزيج من اللهجات العربية، ولهجات الأعاجم الذين اختلطوا بالعرب بعد الفتوحات الإسلامية، فكان من نتائج هذا الامتزاج أن نشأت في البيئة العربية أصوات كثيرة. استحسن العلماء بعضها، واستقبحوا بعضها الآخر.

في الحقيقة أن الحروف الأصول لا يمكن أن تستوعب جميع الكلام الذي يتخاطب به الناس في حياتهم العامة، والذي هو خليط من عدة لهجات، ومتحرر من جميع القيود، فلو أردنا أن نكتب كلامنا الدارج الآن لما تمكنا من تسجيله كاملا بالحروف الأصول، ولا أدل على ذلك من أن بعض الشعوب الإسلامية قد زادت حروفا مثل الباء المثلثة من أصفل (ب) وكذلك الفاء (ف) والجيم (ج) عند الفرس.

أ- الحروف المستحسنة

يحدد العلماء ستة أحرف حسنة يؤخذ بها في قراءة القرآن والأشعار وفصيح الكلام، هي :

٦-١- الهمزة المسهلة، وهي فرع من الهمزة المحققة[١] . وسماها سيبويه همزة بين بين[٢] . أي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها، إن كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف، وإن كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء، وإن كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو، إلا أنها ليست متمكنة كتمكن الهمزة المحققة[٣] . فنقول : سال ولوم وسيم في تخفيف سأل ولؤم وسئم وإنها بزنة المحققة ولا تقع أولا أبدا. إنما تقع متوسطة أو متأخرة[٤] .

٦-٢- النون الخفية، وسماها سيبويه الخفيفة[٥] . وهي نون ساكنة غير ظاهرة. مخرجها من الخيشوم فقط إذا كان بعدها حرف من الحروف الخمسة عشر : ق ك ج ش ص ض س ذ ث ف ز ط ظ د ت[٦] . قال السيرافي (٣٨٥هـ) : "لو

١- ارتشاف الضرب ٨/١ .

٢- الكتاب ٤٣٢/٤. الهمزة المسهلة حرف، واحد عند سيبويه. وثلاثة أحرف عند السيرافي نظرا إلى التقييد إما بالألف وإما بالواو وإما بالياء. ينظر الكتاب ٥٤١/٣. والشافية ٢٥٤/٣ وسر الفصاحة ص ١٩ .

٣- صناعة الإعراب ٥٣/١، ٥٤ .

٤- شرح المفصل ١٢٥/١٠ .

٥- الكتاب ٤٣٢/٤ .

٦- شرح المفصل ١٢٦/١٠ .

تكلف متكلف إخراجها من الفم مع هذه الخمسة عشر لأمكن بعلاج وعسر"[١] .
وأما إن كان بعدها أحد الحروف الحلقية الستة، فمخرجها من الفم من موضع الراء واللام، وهي بينة غير خفية[٢] .
٦-٣ - ألف الإمالة، وهي التي تجدها بين الألف والياء، وتسمى ألف الترخيم. "فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك قولهم : عابد وعالم"[٣] . وتمنع إمالتها الأحرف السبعة : ص ض ط ظ غ ق خ في مثل : قاعد وغائب وخامد وصاعد وطائف وضامن وظالم[٤] .
٦-٤- ألف التفخيم، وهي التي بين الألف والواو في نحو الصلوٰة والزكوٰة والحيوٰة وإنما تكتب في صورة الواو ليعلم القارئ أن هذه الألف مفخمة على لغة أهل الحجاز[٥] . كما تفخم اللام التي تلي الصاد أو الضاد أو الطاء إذا كانت هذه الحروف مفتوحة أو ساكنة كالصلوات ويصلون وكذلك لام (الله) إذا كان قبلها ضمة أو فتحة[٦] . وفيما قرأ به القراء وأثبتته الرواية الصحيحة[٧] .
٦-٥- الشين التي كالجيم، هي جيم مجهورة تشبه جيم الشاميين. وكان الناطقون بها يقولون في أشدق : أجدق[٨] . "فهي الشين التي يقل تفشيها واستطالتها وتتراجع قليلا متصعدة نحو الجيم"[٩] .
لقد استحسن سيبويه (الشين التي كالجيم)[١٠] . واستهجن (الجيم التي كالشين)[١١] . وكلتاهما شئ واحد. واستحسن الشين المشربة صوت الجيم في مثل (أشدق)، فالدال مجهورة شديدة والشين مهموسة رخوة تنافي جوهر الدال، ولذلك تشرب الشين صوت الجيم التي هي مجهورة شديدة كالدال لتناسب الصوت، واستهجن الجيم التي كالشين في مثل : اجتمعوا، وليس بين الجيم والتاء تباين، بل هما شديدتان، فالفرار من المتنافيين مستحسن، والفرار من المثلين مستهجن، فصار الحرف الواحد مستحسنا في موضع ومستهجنا في موضع آخر بحسب موقعه

١- الشافية ٣/٢٥٤، ٢٥٥ وسر الفصاحة ص ١٩ .
٢- شرح المفصل ١٠/١٢٦ .
٣- الكتاب ٤/١١٧ والمقتضب ١/١٩٤ والأصول ٣/٣٩٩ وصناعة الإعراب ١/٥٥ وشرح المفصل ١٠/٢٧ .
٤- الكتاب ٤/١٨٢ .
٥- نفسه ٤/٤٣٢ والمقتضب ١/١٩٤ والأصول ٣/٣٩٩ وصناعة الإعراب ١/٥٦ وشرح المفصل ١٠/٢٧ والممتع ٢/٦٦٥ والشافية ٣/٢٥٥ .
٦- الشافية ٣/٢٥٥ .
٧- ارتشاف الضرب ١/٨ .
٨- نفسه ١/٨ وشرح المفصل ١٠/١٢٧ والممتع ٢/٦٦٥ والشافية ٣/٢٥٥ .
٩- صناعة الإعراب ١/٥٦ .
١٠- الكتاب ٤/٤٣٢ .

وما يجاوره[١] .

٦-٦- الصاد التي كالزاي، هي صاد مجهورة مفخمة. والناطقون بها يقولون في كلمة مصدر : مزدر[٢] . "والصاد والسين والجيم اللواتي كالزاي فروع عن الزاي الخالصة. وذلك مزدر في مصدر بين الصاد والزاي، وفي زهير سهير بين السين والزاي وفي جابر زابر بين الجيم والزاي"[٣] . وفي دارجتنا زغير وزعلوك في صغير وصعلوك ... بهذه الحروف الفروع تكون عدة حروف العربية خمسة وثلاثين حرفا ثبتت بالرواية الصحيحة في الأمهات وفي فصيح الكلام، وبها تواترت بعض القراءات القرآنية. غير أن "الشين التي كالجيم وألف التفخيم قل من يقرأ بهما في القرآن لأنه لم يرد بهما أثر يعتمد عليه"[٤] .

ب - الحروف المستهجنة

لا يؤخذ بهذه الحروف في قراءة القرآن الكريم ولا في الشعر ولا في الكلام الفصيح. ولا تكاد توجد إلا في لغة ضعيفة مرذولة غير متقبلة[٥] . وفي حقيقتها أنها ظاهرة لهجية سجلها العلماء، ونصوا على انخطاطها وعدم قبولها. ونسبوها إلى بعض المناطق التي تأثرت بغيرها من الأمم المجاورة، "وكأن الذين تكلموا بهذه الحروف المسترذلة خالطوا العجم فأخذوا من لغتهم"[٦] .

ولو كانت هذه الحروف معروفة في بيئة الحجاز لاحتفل بها العلماء وعدوها من الفصيح. لأن لهجة قريش معيارهم الذي يرجعون إليه في الرفض والقبول .

و يذكر اللغويون سبعة حروف مستهجنة لم ترد في الفصيح، وهي :

٧-١- كاف كالجيم : هي فرع عن الكاف. فينطق بها بدل الكاف الخالصة. قال ابن دريد (٣٢١هـ) : هي لغة في اليمن. يقولون في جمل : كمل[٧] . وفاشية في

١١- نفسه ٤٣٢/٤ .

١- الشافية ٢٥٦/٣ قال الراجز : إذ ذاك إذ حبل الوصال مدمش. أبدلت الشين فيه من الجيم لأن أصله مدمج. ينظر صناعة الإعراب ٢١٥/١. وجعل أبو بكر الزبيدي هذه الظاهرة في الأندلس من لحن العامة. فقال : اشترت الدابة خطأ والصواب اجترت. ينظر لحن العوام ص ٣٠٣. وجعلها ابن عصفور من ضرورة الشعر لتتفق القوافي. ينظر الممتع ٤١٢/١.

٢- الكتاب ٤٣٢/٤ ، والمقتضب ١٩٤/١ ، والأصول ٣٩٩/٣ ، وصناعة الإعراب ٥٦/١ ، وأسباب حدوث الحروف ص٢٤.

٣- ارتشاف الضرب ٨/١ .

٤- ابن أبي مريم (٥٦٥هـ) الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها ١٦٩/١ .

٥- صناعة الإعراب ٥١/١ .

٦- الممتع ٦٦٧/٢ .

٧- ينظر شرح المفصل ١٢٧/١٠ وارتشاف الضرب ٨/١، الصاحبي في فقه اللغة، ص ٨٦.

عوام بغداد. يقولون في كافر : جافر[٨] .

و جيم كالكاف : هي فرع عن الجيم الخالصة في لغة أهل البحرين يقولون : ركل في رجل[١] . وهما شيء واحد إلا أن أصل أحدهما الجيم وأصل الآخر الكاف. وعدهماسيبويه حرفا واحدا[٢] . لأن النطق بهما لا يختلف . وأما ابن جني فقد راعى الأصل لكليهما فعدهما حرفين[٣] . وتبعه ابن عصفور[٤] . وابن مالك[٥] .

قال أبو حيان عن القاف المعقودة : "وهي الآن غالبة في لسان من يوجد في البوادي من العرب حتى لا يكاد عربي ينطق إلا بالقاف المعقودة، لا بالقاف الخالصة الموصوفة في كتب النحويين والمنقولة على وصفها الخالص على ألسنة أهل الأداء من أهل القرآن"[٦] .

و ذهب ابن الجوزي (٥٩٧هـ) إلى أن العامة يقولون الكدكد في الجدجد وهي بثرة تخرج في جفن العين، والكداد في جداد وهي الخيوط المعقدة[٧] .

٧-٢- صاد كالسين : هي فرع عن الصاد الخالصة. قربوها منها لأنهما من مخرج واحد. يقولون : سابر في صابر وسائر في صائر[٨] . وهذا مما تنطق به العامة قاله ابن الجوزي[٩] وعده يوهان فك من خصائص العربية المولدة[١٠] .

٧-٣- طاء كالتاء : هي فرع عن الطاء الخالصة كقولهم : تال في طال[١١] . وتسمع من عجم أهل المشرق كثيرا : لأن الطاء في أصل لغتهم معدومة. فإذا احتاجوا إلى النطق بها ضعف نطقهم بها. فنطقوا بشئ بين الطاء والتاء[١٢] .

٧-٤- ظاء كالثاء : هي فرع عن الظاء الخالصة كقولهم : ثا لم في ظالم[١٣] .

٧-٥- باء كالفاء : هي فرع عن الباء الخالصة، وتكثر في لغة أهل الفرس. فيغلب

٨- الشافية ٢٥٧/٣ . ومن أقوال العامة عندنا : قتله وكتله ، ورقابة وركابة . وهي الرجابة ومعناها الدعامة.

١- الشافية ٢٥٧/٣.

٢- الكتاب ٣٠٥/٣.

٣- صناعة الاعراب ٥١/١.

٤- الممتع ٦٦٥/٢.

٥- التسهيل ص٣٢٠ .

٦- ارتشاف الضرب ٩/١.

٧- تقويم اللسان، ص ٩٢. وعامتنا يقولون في رجابة : رقابة، ومنهم من يقول ركابة بالكاف .

٨- الكتاب ٤٣٢/٤ والممتع ٦٦٦/٢ والشافية ٢٥٦/٣ وارتشاف الضرب ٨/١ وأسباب حدوث الحروف، ص ٢٤.

٩- تقويم اللسان، ص ١٥٠.

١٠- العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، ص ١١٣.

١١- ارتشاف الضرب ٩/١. وسمعنا من عامتنا : تفل في طفل. وتاقة في طاقة ...

١٢- الممتع ٦٦٦/٢، والشافية ٢٥٦/٣.

١٣- التسهيل ص ٣٢٠ وارتشاف الضرب ٩/١.

لفظ الباء تارة وأخرى يغلب لفظ الفاء وذلك نحو بلخ واصبهان[١] . قال السيرافي : "وأظن أن العرب إنما أخذوا ذلك من العجم لمخالطتهم إياهم"[٢] .

٧-٦ - ضاد ضعيفة : هكذا سماها سيبويه[٣] . "وهي لغة قوم ليس في لغتهم ضاد فإذا احتاجوا إلى التكلم بها في العربية اعتضلت عليهم"[٤] . فإذا قلت : ضرب ولم تشبع مخرجها ولا اعتمدت عليه، ولكن تخفف وتختلس فيضعف إطباقها[٥] . فتقرب من الثاء. وذهب ابن يعيش إلى أنهم ربما أخرجوها طاء أو بين الضاد والظاء[٦] . قال أبو حيان : "والذي يظهر أن الضاد الضعيفة التي هي تقرب من الثاء عكس ما قال مبرمان (٣٤٥هـ) وابن عصفور. فتقول في اضرب زيدا : اثرب زيدا. فتقرب الضاد من الثاء"[٧] . وواضح أن الخلاف يتعلق بالأصل، فهي ضاد تقرب من الثاء، وليس ثاء تقرب من الضاد. ومعنى هذا أن بعض الأقوام يحتاجون في كلامهم إلى الضاد، فيعسر عليهم نطقها وليس العكس .

٧-٧- جيم كالشين : ينطق بها بدل الشين. فتستحسن إذا كانت ساكنة بعدها دال. نحو قولهم في الأجدر : الأشتر وفي مجدود : مشدود. وتستقبح إذا كانت ساكنة بعدها تاء مثل اجتمعوا[٨] ، وهذا كثير في لغة الشاميين. قال سيبويه : "وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة"[٩] .

وفي كتاب التمهيد لابن بطال (٤٤٩هـ) زاد بعضهم أحرفا لم يذكرها سيبويه وهي الشين كالزاي كقولهم في اشرب : ازرب، والجيم كالزاي كقولهم في أخرج : اخرز، والقاف كالكاف كقولهم في القمح : الكمح[١٠] .

١- شرح المفصل ١٢٨/١٠ والممتع ٦٦٧/٢ والشافية ٢٥٦/٣ .
٢- ارتشاف الضرب ٩/١ والشفافية ٢٥٦/٣ .
٣- الكتاب ٤٣٢/٤ .
٤- الشافية ٢٥٦/٣ .
٥- ارتشاف الضرب ٩/١ .
٦- شرح المفصل ١٢٨/١٠ .
٧- ارتشاف الضرب ٩/١ .
٨- الممتع ٦٦٦/٢ وارتشاف الضرب ٩/١ .
٩- الكتاب ٤٣٢/٤ .
١٠- ارتشاف الضرب ١٠/١ .

وهناك ما ينطق به بين الواو والياء في نحو قيل وبيع بالإشمام وهو كثير في لغة قيس وبني أسد. وما ينطق به بالفتحة ممالة نحو الكسرة. وما ينطق به بالضمة المشوبة

بالكسرة نحو مررت بمذعور وهذا ابن بور[١] ...

تصنيف الأصوات

للعلماء القدماء جهد كبير في مجال دراسة الأصوات، عددها وأنواعها، أصولها وفروعها وصفاتها كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والإطباق والافتاح والتفخيم والترقيق والاستعلاء والاستفال والصحة والإعلال والانحراف والتكرار وغيرها من الصفات التي أفاض فيها القدماء. وتبعهم فيها المحدثون وما خالفوهم إلا في القليل من الأصوات والمصطلحات .

المصوتات والصوامت

شاع عند القدماء مصطلح الحروف والحركات وحروف العلة عموما. فعدلنا عنها وأخذنا بمصطلح "الصوامت والمصوتات" التي شاعت عند ابن جني وابن سينا[٢] . وغيرهما، وانتشرت عند كثير من المحدثين[٣] .

أ- **المصوتات** : هي حركات قصيرة وأخرى طويلة. فالقصيرة الفتحة ثم الكسرة ثم

١- صناعة الإعراب ٥٩/١ : "الإمالة أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرا وهو المحض. ويقال له : الإضجاع والبطح والكسر قليلا وهي بين اللفظين. ويقال له أيضا التقليل والتلطيف وبين بين. فهي قسمان : شديدة ومتوسطة وكلاهما جائز في القراءة. الإتقان ٢٥٦/١ . "وأما فائدتها فسهولة النفظ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة. والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع فلهذا أمال من أمال [...] أما من أمال فكل القراء العشرة إلا ابن كثير فإنه لم يمل شيئا في جميع القرآن" الإتقان ٢٥٩/١ .

٢- ينظر الخصائص ١٢٤/٣ وأسباب حدوث الحروف ص ٢١ .

٣- تنوع هذا المصطلح في الدراسات الحديثة. هي أصوات ساكنة وأصوات ليس عند الدكتور إبراهيم أنيس. الأصوات اللغوية ص ٢٦. وأصوات صحيحة وأصوات علة عند الدكتور تمام حسان. مناهج البحث في اللغة ص ٦٩. وصوامت وصوائت عند الدكتور محمود والسعران. علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي ص ١٤٨. وأصوات صامتة وحركات عند الدكتور كمال بشر. في علم اللغة العام، الأصوات ص ٧٣. وسواكن وعلل (صوامت وصوائت) عند الدكتور أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي ص ١١٣. والمصطلح الأقدم أولى إذا كان يؤدي الغرض المطلوب .

الضمة. قال ابن جني : "الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق والكسرة بعدها والضمة بعد الكسرة[٤] . وعبروا عن الحركات الطويلة بالألف والياء والواو كما أطلقوا عليها أحرف العلة وأحرف المد. كان الخليل يقول : "إن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به. والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه، فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو"[١] . وسنذكرها بشئ من التوسع في نهاية هذا الفصل .

ب- **الصوامت** : عرفت في تراثنا اللغوي باسم الحروف. وعدتها ثمانية وعشرون بإسقاط الألف لأنها مد دائما. وقد حظيت هذه المجموعة بتصنيف متنوع للتعرف على طبيعتها وصفاتها وخصائصها.

صفات الصوامت

أولا - الجهر والهمس

١- **الجهر** : هو ارتعاش الأوتار الصوتية عند النطق بالصوت. "فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت"[٢] . هذا تعريف إمام النحاة الذي سيطر على موروثنا اللغوي، وتناقله النحاة وسائر العلماء. ولم يحدثوا فيه ما يجب أن يذكر.

والحروف المجهورة : الهمزة والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والظاء والذال والباء والميم والواو[٣] . "وقد تتفاوت الحروف في الجهر والهمس، فبعض المجهورة أجهر من بعض، وبعض المهموسة أهمس من بعض، والذوق يعرفك ذلك"[٤] .

غير أن الدراسات الحديثة أثبتت أن القاف والطاء من الأصوات المهموسة في الواقع اللغوي الحديث[٥] . ولعلهما كانتا مجهورتين في قسم من أقسام العربية القديمة على

٤- صناعة الاعراب ٦٠/١ والسهيلي (٥٨١هـ)، نتائج الفكر في النحو، ص٨٣ ومابعدها.

١- الكتاب ٣١٥/٢ وينظر أسباب حدوث الحروف، ص ٢١ .

٢- نفسه ٤٣٤/٤ وينظر المقتضب ١٩٥/١ والأصول ٤٠١/٣ وصناعة الإعراب ٦٩/١ . و شرح المفصل ١٢٩/١٠ والممتع ٦٧١/٢ والشافية ٢٥٧/٣ وارتشاف الضرب ١٠/١، والمبدع الملخص من الممتع ص ٨٨ والكتاب الموضح ١٧١/١ والنشر ٢٠٢/١ .

٣- ارتشاف الضرب ١٠/١ .

٤- الكتاب الموضح ١٧٢/١٠ .

٥- ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ٦٢، ١١٩ وتمام حسان، مناهج البحث في اللغة ص ١٢٥ ومحمود السعران، علم اللغة العام مقدمة للقارئ العربي - ص ١٥٥ وعبد الرحمن أيوب، في أصوات اللغة ص ١٨٣ وكمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص ٨٧، ١٠٢ وأحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص ٢٩٣، ٢٩٨ ومحمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى اللغة ص ٧٦ ورمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ص ٤٦ وبرجستراسر، التطور النحوي، ص ١٦.

الأقل[٦] . "فإذا نطقنا الطاء مجهورة كانت ضادا، وإذا عكسنا، فنطقنا الضاد مهموسة كانت طاء"[٧] . وينطق بها الآن بعض السودانيين مجهورة كما وصفها الأقدمون[٨] . كما تسمع مجهورة عند بعض اليمنيين وبعض البدو في مثل مطر وأمطار، كأنما يقولون مضر وأمضار. إذن مازالت الطاء المجهورة تسمع في بعض اللهجات العربية الحديثة[١] . وقد سبق ابن الجزري بقوله : "إن المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة"[٢] . أما حديثهم عن القاف فلعلهم كانوا يقصدون قافا تختلف عن قافنا الحضرة. فليس ببعيد أنهم قصدوا بالقاف ذلك الصوت الذي يمكن تسميته (بالقاف) أو ما يشبه الكاف الفارسية[٣] . وأما الهمزة فقد اختلف فيها المحدثون، فذهب إبراهيم أنيس إلى أنها لا مجهورة ولا مهموسة[٤] . وتبعه كمال بشر[٥] . وذهب تمام حسان إلى أنها مهموسة[٦] . وتبعه عبد الرحمن أيوب[٧] . وقد يكون اتصالها المتواتر بالألف قد أوهمهم أن يعدوها خطأ مجهورة[٨] . ولا توصف بالجهر من جهة أن إقفال الوترين الصوتيين معه لا يسمح بوجود الجهر في النطق[٩] . فهل أخطأ القدماء في وصف الطاء والقاف والهمزة بالجهر؟ أيجوز أن تتغير صفات الأصوات من جيل إلى جيل ومن بيئة إلى أخرى؟ من الصعب الجزم في مثل هذه المواقف العلمية، ويبقى باب الاحتمال مفتوحا على الدوام، ولا نزعم أننا قادرون على إغلاقه بإجابات سريعة لم تتضح بعد.

٢ – **الهمس** : هو إخفاء الصوت بحيث يجري النفس مع الحرف لضعف الاعتماد عليه. قال سيبويه : "وأما المهموسة فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه"[١٠] . والحروف المهموسة يجمعها قولك : سكت فحثه شخص[١١] . والضاد والخاء أقوى مما عداهما. وما نص عليه القدماء في الجهر والهمس يوحي بأنهما يرتبطان بالمخرج، والصواب أنهما يرتبطان بالأوتار الصوتية والحنجرة. وسبب ذلك أنهم كانوا يجهلون هذه الأعضاء ودورها في عملية التصويت.

٦– كانتينو، دروس في علم أصوات العربية ترجمة صالح القرمادي ص ٣٥ .
٧– كمال بشر، علم اللغة العام الأصوات، ص ١٠٣ .
٨– نفسه ص ١٠٤ .
١– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٦٢.
٢– التمهيد في علم التجويد، ص ١٣١ .
٣– كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص ١١٠ .
٤– الأصوات اللغوية، ص ٩٠ .
٥– علم اللغة العام، الأصوات، ص ٨٨ .
٦– مناهج البحث في اللغة، ص ١٢٥ .
٧– في أصوات اللغة، ص ١٨٣ .
٨– كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي ص ٣٥ .
٩– مناهج البحث في اللغة ص ١٢٥ وهنري فليش، العربية الفصحى، ص ٣٨ .
١٠– الكتاب ٤/٤٣٤ وينظر الكتاب الموضح ١/١٧١ والنشر ١/٢٠٢ .
١١– ارتشاف الضرب ١/١٠.

ثانيا – الشدة والرخاوة

١– **الشديد أوالانفجاري :** "هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه. وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء. وذلك أنك لو قلت : ألحج ثم مددت صوتك، لم يجر ذلك"[١] . ويجمعها قولك : أجدت طبقك. فالصوت يكون شديدا بتسريح فجائي للهواء بعدما يحبس تماما في موضع من المواضع أي ينغلق جهاز التصويت تماما عند النطق به[٢] . ويمكن أن يكون لكل انفجاري مقابل احتكاكي –مضاد له في الصفة– مع اختلاف في طريقة النطق. فالكاف العربي انفجاري، والمقابل له احتكاكي هو الخاء[٣] .

ويختلف المحدثون مع القدماء في وصفهم للجيم بالشدة. إنما في لسان العرب اليوم ثلاثة أنواع : شديدة في مصر ورخوة في الشام، وبين الشدة والرخاوة (الفصيحة)[٤] في مناطق أخرى وبخاصة في البادية.

والظاهر أن الجيم الأصلية هي ما نسمعها اليوم من مجيدي القراءة القرآنية[٥] . "وهذه الجيم بهذا الوصف لا وجود لها في اللهجات الحالية إلا في لهجة من لهجات صعيد مصر، وبعض أماكن الجزيرة العربية"[٦] . وتطورها إلى الجيم القاهرية أو إلى الدال في بعض اللهجات تطور طبيعي تبرره القوانين الصوتية، وذلك بأن انتقل مخرجها إلى الخلف قليلا فانقطع تعطيشها وزادت شدتها، أما في تطورها إلى "الدال" فقد انتقلت بمخرجها إلى الأمام، فانقطع تعطيشها وازدادت شدة[٧] . وذهب إبراهيم أنيس مذهبا مغايرا لما هو شائع في تراثنا العربي، فقال : "أما حين نفترض أن الجيم العربية غير معطشة تكون حينئذ أخت الكاف ومن مخرج واحد معها، وعليه فيندر أن تجتمع معها أو أن تلي إحداهما الأخرى"[٨] . والحقيقة أن ما لاحظه الدارسون في اللهجات العربية اليوم نلاحظه في لهجات الجزائر ؛ فإنها أنواع، جيم في العاصمة وأخرى في الحضنة

١– الكتاب ٤/٤٣٤، ٤٣٥ وينظر المقتضب ١/١٩٥ والأصول ٣/٤٠٢ وصناعة الإعراب ١/٧٠، وشرح المفصل ١٠/١٢٩ والممتع ٢/٦٧٢ والشافية ٣/٢٥٨ وارتشاف الضرب ١/١٠.

٢– كانتينو ، دروس في علم أصوات العربية ترجمة صالح القرمادي، ص ٢٤ .

٣– محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص ١٦٦ .

٤– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٧٠ وكمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات ص ١١٥، ١١٦ وعبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة، ص ١٧٤. ورمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص ٥١ .

٥– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٧٧.

٦– رمضان عبدالتواب، المدخل إلى علم اللغة، ص ٥١ .

٧– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٧٨ وفي الدارجة يقولون : داسوس في جاسوس ودسر في جسر.

٨– نفسه، ص ٨٣ .

وثالثة في الجنوب ... ولعل الجيم الفصيحة ما بدأت بدال وانتهت بجيم معطشة (دج) كما ينطقها أبناء الهضاب العليا الشرقية، وعلى هذا الأساس كتبت بالحرف اللاتيني : (DJ).

٢- الرخو أوالاحتكاكي : يكون الصوت رخوا بتضييق مجرى الهواء في موضع من المواضع. ويكون ذلك على شكل تسرب مستمر للهواء. قال ابن جني : "هو الذي يجري فيه الصوت. كقولك : المس والرش والشح"[١] . والأصوات الرخوة "هي الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاي والسين والظاء والثاء والذال والفاء، وذلك إذا قلت : الطس وانقض وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت"[٢] .

أما بقية الأصوات فمتوسطة بين الشدة والرخاوة فيجمعها قولك : ولينا عمر. وتحدث بتضييق الهواء في نقطة المخرج أكثر من الرخوة، ولكنها لا تصل إلى الانغلاق التام[٣] ويسمي المحدثون (ل م ن ر) الأصوات المائعة[٤] ، لأن اللسان يترك فيها للهواء مموا كبيرا. كما أطلقوا على (ل م ن) أشباه أصوات اللين لوضوحها. فهي وسطى بين الأصوات الصامتة وأصوات اللين[٥] . ومما يلاحظ أن القدماء عدوا الضاد رخوة والعين وسطا بين الشديدة والرخوة، قال سيبويه : "وأما العين فبين الرخوة والشديدة تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء"[٦] . وقد تبين لتمام حسان بالأشعة أنها صوت رخو، قال : "وصوت العين حلقي رخو مجهور مرقق"[٧] .

أما الضاد الحديثة فصوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان، وهي تخالف ضاد القدماء. "فالضاد الأصلية كما وصفت في كتب القراءات أقل شدة مما ننطق به الآن"[٨] . وقد أشار ابن الجزري إلى أن الناس يتفاضلون في النطق بالضاد، ومنهم من يجعلها ظاء عند بعض أهل المشرق، وظاء عند المصريين وبعض أهل المغرب، ومنهم من يخرجها لاما مفخمة، وهم الزيالع من مسلمي السودان[٩] . وينطق أكثر السوريين وبعض المغاربة الضاد مثل الظاء، وبعض الناس كالدال، وغيرهم كالطاء، وآخرون يومئون إليها بالظاء. وأخيرا ينطقها بعضهم لاما مفخمة. ومن بين جميع هذه الصور يكثر نطقها اليوم دالا مفخمة، وعلى هذا الأساس صورت كتابتها بالحروف

١- صناعة الإعراب ١/٧٠.
٢- الكتاب ٤/٤٣٤ وينظرا المقتضب ١/١٩٥ والأصول ٣/٤٠٢ والكتاب الموضح ١/١٧٢.
٣- ينظر ارتشاف الضرب ١/١٠ والنشر ١/٢٠٢ و...
٤- ينظر عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية ص ١٧٤ وبرتيل مالبرج، علم الأصوات، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص ١١٣.
٥- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٢٧.
٦- الكتاب ٤/٤٣٥.
٧- مناهج البحث في اللغة، ص١١٣ ، ١١٧، ١٣٠.
٨- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٤٨ وتمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص١٢٠.
٩ - التمهيد في علم التجويد، ص١٣٠، ١٣١.

اللاتينية (D). ويبدو أن إبدال الدال بها كان من خصائص النبطية[١٠] .
ومن المؤكد أن الضاد القديمة كانت عصية على كثير من أبناء القبائل العربية بله الشعوب التي دخلت في الإسلام، ونقل الاضطراب في وصفها والتداخل بينها وبين بعض الأصوات كالظاء منذ عهد عمر(ض)، لذلك احتاج الناس إلى وضع الكتب في الفرق بينهما، منها الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء لأبي حيان، وغيره من الكتب[١] . وذكر بعض الباحثين أن نطق الضاد العتيقة موجود في لهجات منطقة ظفار كالمهرية والشحرية وفي منطقة دثينة بجنوب بلاد العرب وفي لهجات الجزيرة بالسودان[٢] . وتنطق كاللام المطبقة عند أهل حضرموت[٣] . ويظهر أن الأندلسيين كانوا ينطقون الضاد مثل ذلك، ولذلك استبدل الإسبان بها (LD) في الكلمات المستعارة في لغتهم مثل القاضي صارت في الإسبانية (ALCALDE)[٤] . ولقد كان بعض العرب ينطقون (الطجع) بدل (اضطجع). وهو في قول منظور بن حبة الأسدي (رجز) :

لما رأى أن لادعة ولا شبع ∴ مال إلى أرطأة حقف فالطجع[٥]

ويشيع الآن نطقها (ظاء) في كثير من البلدان العربية كالجزائر وتونس والخليج العربي والجزيرة العربية والشام والعراق...
قال ابن الجزري : "والضاد انفرد بالاستطالة، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله. فإن السنة الناس فيه مختلفة، وقل من يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاء ومنهم من يمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لاما مفخمة، ومنهم من يشمه الزاي، وكل ذلك لا يجوز"[٦] . ويمكن أن نحدد أشكال صوت الضاد في الأصوات الآتية :

١- الظاء.
٢- الدال العادية والمفخمة.
٣- اللام المفخمة.
٤- الطاء.
٥- الطاد ممزوجة بالذال.
٦- الضاد مشمومة بالزاي .

١٠- يوهان فك، العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، ص ١١٢.
١- سر الفصاحة، ص٤٧. والخلط بين الضاد والظاء من عهد عمر (ض) فقد نطق أعرابي أمامه (الضبي) بالظاء. ولأبي حيان الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء وهو اختصار لكتاب ابن مالك، طبع بمطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٨٠.
٢- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص٧٤.
٣- نفسه ٦٥.
٤- برجستراسر، التطور النحوي، ترجمة رمضان عبد التواب، ص١٩.
٥- الكتاب ٤٨٣/٤ والمنصف ٣٢٨/٢، ٣٢٩ والشافية ٢٢٦/٣.
٦- النشر ٢١٩/١، ٢٢٠.

الضاد العربية التي وصفها سيبويه بأنها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس[٧] رخوة مجهورة مطبقة "لم تعد تنطق منذ أمد بعيد، وأنها آلت منذ قرون إلى عدة أشكال. كل شكل يستخدم في جهة من جهات البلدان التي تتكلم العربية. وأن أشهر تلك الأشكال نطق الضاد ظاء كما في العراق والمغرب العربي ونطقها دالا مفخمة كما في مصر. وأن هذه الدال المفخمة تمثل الطاء العربية القديمة المجهورة التي صارت منذ أمد مهموسة (تاء مطبقة). فخرجت من اللغة العربية إذن الضاد القديمة، ودخلت الطاء الحديثة. وانتقلت الطاء القديمة لتمثل نطق الضاد في بعض البلاد العربية"[١] .

ثالثا – الإطباق والانفتاح

١ – **الإطباق** : يوصف الصوت بالإطباق إذا ارتفع اللسان إلى الحنك الأعلى، وانطبق عليه، قال سيبويه متحدثا عن الأصوات : "ومنها المطبقة والمنفتحة. فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشئ منهن لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى"[٢] .

و هذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق إلى ماحاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فينحصر الصوت بين اللسان والحنك في موضع ذلك الصوت. "والإطباق أن ترفع لسانك إلى الحنك الاعلى مطبقا له"[٣] .

لهذه الحروف موضعان من اللسان، وقد بين بحصر الصوت. قال سيبويه : "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شئ من موضعها غيرها"[٤] .

وما ذهب إليه سيبويه إلى أن "لولا الإطباق لصارت الطاء دالا " مبني على أن الطاء كانت مجهورة في عصره. أما اليوم فالصحيح أن يقال : "لولا الإطباق لصارت الطاء تاء" وكذا الأمر بالنسبة للضاد، فإنه تحدث عن الضاد القديمة. أما التي ننطقها اليوم

٧– الكتاب ٤/٤٣٣ .

١– غانم قدور الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص ٢٨٠. يقول حسن ظاظا : " فهناك من ذهب من العلماء إلى القول بأن الضاد كانت موجودة في اللغة السامية الأم، ولكنها كانت صوتا مزدوجا من قاف وسين "قساد" وحجتهم في ذلك أننا لو أخذنا كلمة فيها ضاد عامة شائعة في كل اللغات السامية، ولتكن كلمة "أرض" العربية، لوجدناها في العبرية "أرص" بالصاد وفي البابلية الأشورية "أرسيتو" بتفخيم في السين أحيانا، وفي الحبشية "أرد"، وفي الآرامية "أرعا" أو "أرقا" واستخلصوا من ذلك أنها لابد أن تكون صوتا من أقصى الحنك الرخو عند منطقة اللهاة". كلام العرب ص ٢٨.

٢– الكتاب ٤/٤٣٦.

٣– صناعة الإعراب ١/٧٠، ٧١ والكتاب الموضح ١/١٧٣ والنشر ١/٢٠٣.

٤– الكتاب ٤/٤٣٦.

فهي النظير المطبق للدال كما في نطق المصريين[٥] .

٢- **الانفتاح** : يوصف الصوت بالانفتاح إذا تقعر وسط اللسان وانبسط في حال نطقه بالأصوات الأخرى غير الأربعة المطبقة[٦] . فالمنفتح لا تطبق ظهر لسانك برفعه إلى الحنك، فلا ينحصر الصوت[١] .

وما قاله القدماء في الإطباق والانفتاح تؤكده الدراسات الصوتية الحديثة، وتراهم يعبرون أحيانا عن الصوت المطبق بالصوت المفخم[٢] .

رابعاً - الاستعلاء والاستفال (التصعد والانخفاض)

١- **الاستعلاء** : هو ارتفاع اللسان بعضه أو كله إلى ما يحاذي الحنك الأعلى عند النطق بالصوت. وتعرض سيبويه للأصوات المستعلية في باب ما يمتنع من الإمالة من الألفات. قال : "فالحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة : الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف والخاء [...] وإنما منعت هذه الحروف الإمالة، لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى. والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى. فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها"[٣] . قال ابن جني في تعريفها : "وللحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء والانخفاض. فالمستعلية سبعة [...] وما عدا هذه الحروف فمنخفض. ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى. فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وقد ذكرناها، وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها"[٤] .

والاستعلاء يقتضي في الغالب التفخيم ويرادفه التغليظ والتصعد، ويضاده الترقيق والاستفال والانخفاض، وهو مايتصل بالأصوات المنخفضة . وقد ألحق أهل المدينة العين والحاء بالأصوات المستعلية، فصارت تسعة[٥] .

وهذا رأي بعض القراء وقد رده النحاة، لأن اللسان ليس له دور في إنتاجها، وربما جاءت الشبهة من أن العين والحاء تمنعان من الإمالة كذلك مثل الأصوات المستعلية، لكونها من الحلق، وماكان حلقيا تناسبه الفتحة من الحركات، "وهناك فرق بين صفة الاطباق وصفة الاستعلاء هو أن الأولى من الصفات المميزة وأن الثانية من الصفات

٥- غانم قدور الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص ٢٨٧.
٦- ينظر الكتاب ٤٣٦/٤ والأصول ٤٠٤/٣ والممتع ٦٧٤/٢ والشافية ٢٦٢/٣ .
١- ينظر الأصول ٤٠٤/٣ وشرح المفصل ١٢٩/١٠ والشافية ٢٦٢/٣.
٢- ينظر على سبيل المثال، كمال محمد بشر، علم اللغة، الأصوات، ص ١٠٢ وما بعدها.
٣- الكتاب ١٢٨/٤، ١٢٩ وينظر المقتضب ٢٢٥/١.
٤- صناعة الإعراب ٧١/١.
٥- الكتاب الموضح ١٧٤/١.

المحسنة"[٦] وما يجمع بينهما إلا التفخيم، وهو في الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه، والتفخيم والتسمين والتجسيم والتغليظ بمعنى واحد، والترقيق عبارة عن نحول يدخل على جسم الحرف، فلا يمتلئ الفم بصداه، ولا يجوز تفخيم أحد حروف الاستفالة إلا الراء واللام في بعض أحوالهما[٧] وهما من الناحية الصوتية تعدان مثل حروف الإطباق[١].وعلى سبيل المثال ترقق اللام في لفظ الجلالة (الله) إذا سبقت بكسر، كما ترقق الراء إذا كانت مكسورة، وتفخم إذا كانت مضمومة أو مفتوحة.

٢- **الاستفال** : هو انحطاط اللسان إلى قاع الفم أثناء النطق بالصوت ويقتضي الترقيق[٢] وهو وصف لباقي الحروف.

خامسا - الإذلاق والإصمات

١.**الذلاقة** هي النطق بطرف أسلة اللسان والشفتين، قال الخليل : "إعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة، وهي : ر ل ن، ف ب م وإنما سميت هذه الحروف ذلقا، لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين، وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذليقة (ر ل ن) تخرج من ذلق اللسان من طرف الفم وثلاثة شفوية (ف ب م)"[٣] فإذا عريت من هذه الأحرف الستة الألفاظ الرباعية والخماسية، فهي من الدخيل في كلام العرب وليس منه[٤] ؛ لأنها لما سهلت في المنطق كثرت في أبنية الكلام[٥]. وما جاء عاريا من هذه الأصوات وهو من بنات الأربعة قليل كالعسجد والعسطوس والدهدقة والزهزقة[٦]... ولعلها كلمات محدثة أو أعجمية. قال الخليل : "لأنك لست واجدا من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر"[٧] .

٢.**الإصمات** : المصمت من الأصوات مالا جوف له فيكون ثقيلا، وسميت الأصوات المصمتة لثقلها عن اللسان[٨] ؛ ولأنها أصمتت فلم تدخل في الأبنية كلها لاعتياصها

٦- غانم قدور الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص ٢٩٢.
٧- نفسه، ص ٢٩٢، ٢٩٣.
١- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٦٥ ومابعدها.
٢- الشافية ٢٦٣/٣ والتمهيد ص٩١ والنشر ٢٠٢/١.
٣- العين ٥١/١ وينظر صناعة الإعراب ٧٤/١ والممتع ٦٧٦/٢.
٤- صناعة الإعراب ٧٤/١.
٥- العين ٥٢/١.
٦- صناعة الإعراب ٧٥/١ والممتع ٦٧٧/٢. والعسطوس : الخيزران، والدهدقة : تكسير العظام، والزهزقة شدة الضحك، وترقيص الأم الصبي، وهي كذلك عند العامة.
٧- العين ٥٤/١، ٥٥.
٨- الشافية ٢٦٢/٣ والكتاب الموضح ١٧٩/١.

على اللسان[٩] .

والأصوات المصمتة هي ماسوى أصوات الذلاقة[١٠] بمعنى الممنوعة من أن تتفرد في كلمة طويلة، والحقيقة أن الأساس الذي يستند إليه هذا التصنيف غير واضح ولا وجه للمقابلة بين المذلقة والمصمتة.

سادسا – الصفات المحسنة

من الصفات الفرائد التي لا ضد لها التي تدخل في مجال الصفات المحسنة هي : الفلقلة والصفير والانحراف والتكرير والاستطالة والتفشي والغنة.

١– **القلقلة** : هي اضطراب الصوت بسبب ضغط اللسان به عند خروجه ساكنا ويحتاج إلى جهد أكبر في حال الوقف، وأصواته الخمسة يجمعها قولك : قطب جد. قال سيبويه : "واعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت، ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة"[١] وذهب المبرد إلى أن الكاف من حروف القلقلة. قال : "واعلم أن من الحروف حروفا محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه، وهي حروف القلقلة. وإذا تفقدت ذلك وجدته، فمنها القاف والكاف إلا أنها دون القاف، لأن حصر القاف أشد، وإنما تظهر هذه النبرة في الوقف[٢] .

ولحصول القلقلة في الصوت لا بد من اجتماع الشدة والجهر فيه، فالشدة تضغطه في المخرج، والجهر يمنع جريان النفس عند انفتاح المخرج، ولكن الطاء والقاف من الأصوات المهموسة في الفصحى المعاصرة، ومن هنا تخلف فيهما أحد شرطي القلقلة وهو الجهر. وعلى الرغم من هذا فإن مجودي القرآن يحاولون اتباع هذين الصوتين عند الوقف بصويت القلقلة، قال محمود السعران : "من هذا نرى أن الصوت الإضافي في حالة "حروف القلقلة" يشبه "بالحركة" أي بالصائت القصير، ومن البديهيات أن الصوائت مجهورة"[٣] . قال ابن الجزري : "وذهب متأخرو أئمتنا إلى تخصيص القلقلة بالوقف تمسكا بظاهر مارأوه من عبارة المتقدمين أن القلقلة تظهر في هذه الحروف بالوقف. فظنوا أن المراد بالوقف ضد الوصل، وليس المراد سوى السكون، فإن المتقدمين يطلقون الوقف على السكون، وقوى الشبهة في ذلك كون القلقلة في الوقف العرفي أبين، وحسبانهم أن القلقلة حركة وليس كذلك ؛ فقد قال الخليل : "القلقلة : شدة الصياح، واللقلقة شدة الصوت"[٤] .

٩– التمهيد في علم التجويد ص ٩٧.

١٠– صناعة الإعراب ١/٧٥.

١– الكتاب ٤/١٧٤.

٢– المقتضب١/١٩٦.

٣– علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي ص١٦٢.

٤– النشر ١/٢٠٣.

وهذه الأصوات بعضها أشد من بعض في القلقلة، وقال أبو الحسن شريح في كتابه (نهاية الإتقان في تجويد القرآن) لما ذكر حروف القلقلة الخمسة : وهي متوسطة كباء {الأبواب} يوسف١٢/٢٣ وجيم {النجدين} البلد٩٠/١٠ ودال {مددنا} الحجر١٥/١٩ وقاف {خلقنا} الأعراف٧/١٨١ وطاء {أطوارا} نوح٧١/١٤ ومتطرفة كباء {لم يتب} الحجرات٤٩/١١ وجيم {لم يخرج}[١] . ودال {قد} وقاف {من يشاقق} النساء٤/١١٥ وطاء {لا تشطط} ص٣٨/٢٢. فالقلقلة هنا أبين في الوقف في المتطرفة من التوسط[٢] .

٢- **الصفير** : هي حروف تتسل كالصفير وهي الصاد والسين والزاي، لأنها تخرج من بين الثنايا وأسلة اللسان، فينحصر الصوت هناك، قال المبرد : "ومن طرف اللسان وملتقى حروف الثنايا حروف الصفير، وهي حروف تتسل انسلالا، وهي السين والصاد والزاي"[٣] .

وحقيقة الصفير أن الصوت يخرج بقوة الريح من طرف اللسان مما بين الثنايا كأنه خارج عن ضغط ثقب شبيه بصفير الطائر[٤] . وصفة الصفير تجمع بين ثلاثة أصوات، وما يفرق بينها إلا بصفات أخرى. فالسين مهموسة والزاي مجهورة والصاد مطبقة.وهذه التسمية ذات صدى في أعمال المحدثين، قال أحمد مختارعمر : "وسميت صفيرية لقوة الاحتكاك معها، والسبب في قوة الاحتكاك هو أن نفس المقدار مع الثاء يجب أن يمر مع السين خلال منفذ أضيق"[٥] .

٣- **الانحراف** : صفة للام سميت كذلك، لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت ويتجافى في ناحيتي مستدق اللسان عن اعتراضه على الصوت فيخرج من تينك الناحيتين. قال سيبويه، وهو يتحدث عن صفات الأصوات : "ومنها المنحرف، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام [...] وليس يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك"[٦].

وذهب بعض العلماء إلى أن الراء صوت منحرف أيضا ونسب إلى الكوفيين، وهو ليس كذلك. قال ابن الجزري "وحرفا الانحراف اللام والراء على الصحيح. وقيل اللام فقط، ونسب إلى البصريين. سميا بذلك لأنهما انحرافا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما"[٧] .

١- لم يرد هذا التركيب في القرآن، ومثله في القرآن { ومن يخرج } النساء ٤/١٠٠.
٢- النشر ١/٢٠٤.
٣- المقتضب ١/١٩٣ وينظر شرح المفصل ١٠/١٣٠.
٤- غانم قدور الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ،ص ٣١٥.
٥- دراسة الصوت اللغوي، ص ٩٨.
٦- الكتاب ٤/٤٣٥ وينظر المقتضب ١/١٩٣ وصناعة الإعراب ١/٧٢.
٧- النشر ١/٢٠٤.

والانحراف صفة لطبيعة مرور الهواء في مخرج اللام، وهذا لا ينطبق على الـــراء الذي يوصف بالتكرير.

٤- **التكرير** : صفة للراء سميت كذلك لارتعاد طرف اللسان بها "فإذا وقفت عليـــها رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير،ولذلك احتسب في الإمالة بحرفيـــن"[١] وهذه الصفة قررها سيبويه، وهو يتحدث عن صفات الحـــروف، فقـــال : "ومنـــها المكرر، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجـــافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، وهو الراء"[٢] وأضاف مؤكـــدا هذه الصفة : "والراء إذا تكلمت بها خرجت كأنـــها مضاعفـــة، والوقـــف يزيدهـــا إيضاحا"[٣] . وظاهر كلام سيبويه أن التكرير صفة ذاتية في الراء، وإلى ذلك ذهـــب المحققون. فتكريرها ربوها في اللفظ وإعادتها بعد قطعها."وقد توهم بعض الناس أن حقيقة التكرير ترعيد اللسان بها المرة بعد المرة، فأظهر ذلك حالة تشـــديدها، كمـــا ذهب إليه بعض الأندلسيين، والصواب التحفظ من ذلك بإخفاء تكريرها، كمـــا هـــو مذهب المحققين، وقد يبالغ قوم في إخفاء تكريرها مشددة فيأتي بها محصرمة شبيهة بالطاء، وذلك خطأ لا يجوز، فيجب أن يلفظ بها مشددة تشديدا ينبو به اللسان نبـــوة واحدة، وارتفاعا واحدا من غير مبالغة في الحصر والعســـر"[٤] فأصلـــها التفخيـــم، وترقق في بعض المواضع.والتكرير صفة أثبتها علماء الأصوات المحدثون للـــراء العربية "لأن التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكررفي النطـــق بها"[٥].

٥- **الاستطالة** : صفة أطلقها سيبويه على الضاد، وكذلك وصف بها الشـــين فقـــال : "الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام. والشين كذلك حتى اتصلـــت بمخرج الطاء"[٦]. ومعنى الاستطالة أن تمد الصوت من أول حافـــة اللســـان إلـــى آخرها[٧] . والظاهر الاقتصار على الضاد في وصفها بالاستطالة. والضاد القديمـــة الموصوفة في كتب التراث لا ينطقها العرب الآن، لذلك تكـــون صفـــة الاســـتطالة مفقودة فيها.

٦- **التفشي** : صفة ذكرها سيبويه في وصف الشين[٨] . سميت كذلك ؛ "لأن الصـــوت ينتشر به عند خروجه ويشغل اللسان مساحة أكبرعند نطقه حتى يصل إلى مخـــرج

١- الأصول ٤٠٣/٣ وصناعة الإعراب ٧٢/١ وشرح المفصل ١٣٠/١٠ وارتشاف الضرب ١١/١.
٢- الكتاب ٤٣٥/٤.
٣- نفسه ٤٣٦/٤.
٤- النشر ٢١٨/١، ٢١٩.
٥- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٦٦ وينظر محمود السعران، علم اللغة، ص١٧٨.
٦- الكتاب ٤٥٧/٤، ٤٦٦، ٤٧٠.
٧- ينظر الممتع ٦٧٧/٢ و٦٧٨.
٨- الكتاب ٤٤٨/٤ وينظر المقتضب ٢١١/١

الطاء"[٩]. وأطلق بعض العلماء هذه الصفة على الضاد والفاء، وزاد بعضهم الـــراء والصاد والسين والياء والثاء والميم[١٠] . فإن كانت هذه الحروف قد اشـــتركت فـــي كثرة انتشار الريح، فإن الشين أقوى منهن لذلك اتفقوا في تفشـــيها واختلفـــوا فـــي غيرها.

٧- **الغنة** : صفة للنون والميم المشددتين، وهي صوت للخيشوم[١] . فإذا تحركتا صـــار العمل فيها للسان والشفتين دون الأنف، ومما يدل على الغنـــة أنك إذا أمسكت بأنفك عند النطق بالنون والميم الساكنتين والتنوين بطل الصوت وانحصر فيها كـــالطنين - لأن الخيشوم فوق الغار الأعلى- فصارت كصوت النحلة في الهواء[٢] .

والغنة تشبه أصوات المد فكما أن الصوت الممدود يتميز بجريان النفس حرا طليقـــا في مجراه فكذلك الغنة يجري فيها النفس خلال تجويف الأنف من غير عائق، فـــإذا طرأت على الخيشوم آفة تمنع الجريان رأيت النون أقرب إلى التاء والميـــم أمـــس بالباء[٣] .

والنون المخفاة أو الخفية تتحد ذاتها مع الغنة، لأن كلتيـــهما صـــوت يخـــرج مـــن الخيشوم، لكن ذلك الصوت صفة في الأصل للنون والميم الساكنتين كما في عن ولم، ويسمى حينئذ غنة وقد تخفى النون الساكنة، ومعناه أن تعدم ذاتها وتبقى صفتها التـــي هي الغنة كما في عنك، وسميت النون نونا مخفاة[٤] .

أطلق علماء اللغة المحدثون على هذه الأصوات (الأنفية)[٥] . وفضل بعضهم الإبقـــاء على المصطلح القديم[٦] . ومما هو جدير بالذكر أن المحدثين قد أشاروا إلى انخفاض الحنك اللين واللهاة أثناء نطق الأصوات الأنفية : "تتكون الأصوات الأنفية بأن يحبس الهواء حبسا تاما في موضع من الفم، ولكن يخفض الحنك اللين، فيتمكن الهواء مـــن النفاذ عن طريق الأنف"[٧] .

٨-**اللين** : صفة للواو والياء والألف، قال سيبويه : "وهذه الثلاثـــة أخفـــى الحـــروف لاتساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعهن مخرجا : الألف ثم الياء ثم الواو"[٨] . وأمكنهن

٩- النشر ١/٢٠٤.

١٠- نفسه ١/٢٠٥.

١- ينظر الكتاب ٤/٤٣٥ والمقتضـــب ١/١٩٤ والممتـــع ٢/٦٧٣، ٦٧٤ والكتـــاب الموضـــح ١/١٧٧ والنشر ١/٢٠٤.

٢- محي الدين رمضان، في صوتيات العربية، ص ١٣٦.

٣- غانم قدور الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص ٣١٢.

٤- نفسه ص ٣١٣، ٣١٤.

٥- كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات ص ١٦٧.

٦- محمود السعران، علم اللغة، ص ١٨٤.

٧- نفسه ص ١٨٤ وينظر كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص ١٦٧.

٨- الكتاب ٤/٤٣٥ وينظر الممتع ٢/٦٧٤.

عند الجمهور في المد الألف[٩] . وأطلق عليه سيبويه مصطلح (الهاوي) لأنه أشد من اتساع مخرج الواو والياء[١٠] .

٩- **المهتوت :** صفة اختلف العلماء في الصوت الموصوف بها. قيل صفة للهمزة سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع، فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد، والهتف الصوت الشديد، قال أبوحيان : "والمهتوت الهمزة. والهت عصر الصوت، والهت أيضا الحطم والكسر، وبعضهم يقول فيها المهتوف"[١] . والظاهر أن أصل التسمية من قول الخليل فيها : "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة"[٢] . وقيل صفة للتاء لما فيها من الضغط والخفاء ؛ لأن الهت سرد الكلام على سرعة. فهو حرف خفيف لايصعب التكلم به على سرعة[٣] . قال ابن يعيش : ومنها المهتوت، وهو التاء، وذلك لما فيه من الضعف والخفاء من قولهم : رجل مهت وهتات أي خفيف كثير الكلام"[٤] .

وقيل صفة للهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء، قال ابن جني : "ومن الحروف المهتوت، وهو الهاء، وذلك لما فيه من الضعف والخفاء"[٥] . ويبدو أن المهتوت صفة أطلقت على كل صوت تميز بالضعف والخفاء، لذلك جاز أن يوصف بها كثير من الأصوات.

١٠ **المشرب :** صفة للصوت المضغوط في الوقف، قال سيبويه : "واعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت , ونبا اللسان عن موضعه وهي حروف القلقلة"[٦] . ومن الحروف المشربة أخرى لم تضغط ضغط الأولى، وهي الزاي والظاء والذال والضاد[٧] . وزاد ابن جني إليها (الراء)[٨] وتبعه ابن عصفور[٩] وأبو حيان[١٠] .

هذه الصفات المحسنة لا شأن لها في تمييز الأصوات بعضها عن بعض. ودورها ينحصر في توضيح خصائص الأصوات التي توصف بها، وفي تفسير الظواهر الصوتية التي تخصها، ومما يدل على أهميتها ما قرره علماء العربية أن :

٩- ارتشاف الضرب ١١/١.
١٠- الكتاب ٤٣٥/٤، ٤٨٦ وينظر الأصول ٤٠٤/٣وشرح المفصل ١٣٠/١٠والممتع ٦٧٤/٢.
١- ارتشاف الضرب ١٢/١.
٢- العين ٥٢/١.
٣- الشافية ٢٦٤/٣.
٤- شرح المفصل ١٣١/١٠.
٥- صناعة الإعراب ٧٤/١ وشرح المفصل ١٢٨/١٠ والشافية ٢٦٤/٣.
٦- الكتاب ١٧٤/٤ وينظر صناعة الإعراب ٧٣/١.
٧- نفسه ١٧٤/٤.
٨- صناعة الإعراب ٧٣/١.
٩- الممتع ٦٧٦/٢.
١٠- ارشاف الضرب ١١/١.

"كل حرف فيه زيادة صوت لا يدغم فيما هو أنقص صوتا منه"[١١] . فلا تدغم في غيرها الشين لتفشيها ولا الراء لتكريرها ولا الضاد لاستطالتها ولا الصاد والزاي والسين لصفيرهن...

من هنا صار من المفيد لنا أن نذكر صفات القوة والضعف في الأصوات، وإن كانت هذه الصفات غير واضحة تماما عند الأوائل، وما أشار إليه ابن جني من حرف أقوى وحرف أضعف يفتقر إلى التوضيح والتحديد قال : متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منهما"[١] .

١١- **القوة** : صفة جامعة لكثير من الصفا ت تكون بالجهر وبالشدة وبالإطباق والتفخيم وبالتكرير وبالاستعلاء والصفير وبالاستطالة وبالغنة وبالتفشي.

١٢- **الضعف** : صفة تجمع الهمس والرخاوة والاستفال واللين[٢].

١١- شرح المفصل ١٣٣/١٠.

١- ينظر الخصائص ٥٤/١، ٥٥ وقال زكريا بن محمد الأنصاري في الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد ص٤٣ : الصفات ثلاثة أقسام : ١- قوية ؛ ٢- ضعيفة ؛ ٣- متوسطة.

٢- القسطلاني (٩٢٣هـ) لطائف الإشارات ٢٠٤/١.

obeikandl.com

المصوتات (أو الحركات)

المصوتات : حركات قصيرة أو طويلة، تتميز بطريقة النطق. "ففي التلفظ بها يمر الهواء عبر جهاز النطق بطلاقة، والأمواج الصوتية تحدثها في هذه الحالة الأوتار وحدها"[١] وذهب كانتينو إلى أن العربية احتفظت بثلاثة أجراس حركية أساسية : الفتح والكسر والضم، وتقابلها ثلاث حركات طويلة[٢] . ونظر إليها الأخفش نظرة ضرورة، فقال : "والحروف لا تخلو من أن تكون ساكنة أو متحركة لأنه ليس من حروف العرب ولا غيرها شئ يخلو من أن يكون مضموما أو مكسورا أو مفتوحا"[٣] . وكان ابن جني أكثر العلماء اهتماما بها، وأضبطهم لها، قال :"الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها والضمة بعد الكسرة"[٤] .والحقيقة أن نوع الحركة يتحدد بحجم وشكل تجويف الفم، وذلك حسب موقع اللسان والشفتين ودرجة انفتاح الفم، فإن كان مفتوحا نتجت الفتحة، وان كان مغلقا نتجت الكسرة، وهي صائت مغلق أمامي منفرج، وإن رجع اللسان إلى الخلف وضمت الشفتان نتجت الضمة، وهي صائت خلفي مضموم[٥] .

وعبر القدماء عن القصيرة بالحركات، وعن الطويلة بالألف والياء والواو، كما أطلقوا على الأخيرة أحرف العلة أو اللين أو المد، وهي مأخوذ بعضها من بعض، قال ابن جني : "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو. فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث هي الفتحة والكسرة والضمة، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الألف الفتحة الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة"[٦] .

وتتميز المصوتات بنطق مفتوح في الكلام العادي، وتجمعها صفة الجهر، فلا يعترض عائق مجرى الهواء المندفع خلال الحلق والفم[٧] . بل تتسع مخارجها، وأوسعها الألف[٨] .

قال كمال بشر : "قرر العلماء أن الحركة صوت يتميز بأنه الصوت المجهور الذي يحدث أثناء النطق به أن يمر الهواء حرا طليقا خلال الحلق والفم دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا"[٩] .

١- مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، ص ٤٩.
٢- دروس في أصوات العربية، ص ١٤٧ .١٤٨
٣- كتاب العروض، ص ١١١ وينظر السهيلبي، نتائج الفكر في النحو، ص ٨٣.
٤- صناعة الإعراب ٦٠/١.
٥- مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، ص٤٩.
٦- صناعة الإعراب ١٩/١.
٧- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي ص ١١٣.
٨- صناعة الإعراب ٨/١.
٩- علم اللغة العام، الأصوات ص ٧٤.

وقد عد القدماء الألف حرفا مكافئا للباء والتاء[١] . وهم يدركون أنها لاتكون إلا مدا أي فتحة ممطولة، ولذلك جعلوا رتبتها بعد اللام لاستحالة نطقها، وهي ساكنة، فإذا تحركت انقلبت همزة[٢]، قال ابن جني : "اعلم أن واضع حروف الهجاء لما لم يمكنه أن ينطق بالألف التي هي مدة ساكنة ؛ لأن الساكن لا يمكن الابتداء به دعمها باللام قبلها متحركة ليمكن الابتداء بها، فقال :هـ و لا ي، فقوله : (لا) بزنة ما و يا ولا تقل كما يقول المعلمون : لام ألف"[٣] . وبهذه الطريقة الأخيرة كانت تتلقن عندنا في الكتاتيب.

وما يلاحظ أن المصوتات أقل من الصوامت، وبهذه الكمية صارت مشكلة أمام احتياج الألفاظ إلى الحركات (كالمنصوبات) فليس ببعيد أن يكون بين كل مصوتين مصوت ثالث : "أما مافي أيدي الناس في ظاهر الأمر فثلاث وهي الضمة والكسرة والفتحة ومحصولها على الحقيقة ست، وذلك أن بين كل حركتين حركة"[٤]، وما ذكره ابن جني لا علاقة له بالمكتوب، وإنما يعرف بالسماع والمشافهة، ومازال في الدارجة شئ منها.

ينبغي على القارئ أن يحفظ مقادير الحركات والسكنات، فلا يشبع الفتحة بحيث تصير ألفا ولا الضمة فتخرج واوا ولا الكسرة فتكون ياء، ولا يوهنها ويبالغ، فيضعف الصوت عن آدائها فتتحول سكونا، فالناطق يمكن أن يبدأ من السكون حتى ينتهي إلى حرف المد، ويستطيع أن يبدأ بحرف المد حتى ينتهي إلى السكون .

حاول العلماء ضبط قياس الحركة وتحديد النسبة بينها وبين أصوات المد، فانتهوا إلى أن الحركة القصيرة تقاس بزمن قبض الإصبع مثلا، وإذا ضوعف الزمن صارت الحركة مدا، إذن ينحصر الفرق بينهما في الكمية[٥] . قال كانتينو: "الألف (أي الفتحة الطويلة) متكون من فتحتين، والواو من ضمتين والياء من كسرتين"[٦] وفي هذا النص دليل على أن الناطقين بالعربية يشعرون بأن الحركة الطويلة تضاهي حركتين قصيرتين، وذلك كما يفعل الناطقون بلغات أخرى[٧] . كما حاولوا تحديد الحركات التي يلحقها الاختلاس والروم والإشمام، فالاختلاس يكون في الحركات الثلاث، والباقي منها أكثر من المحذوف، والروم لايكون في الفتح والنصب، وفي الوقف دون الوصل، والإشمام يكون بضم الشفتين بعد سكون الحرف[٨] .

فرق العلماء بين الحركات، وميزوا الخفيف منها من الثقيل، فكثرت الفتحة في كلام

١- العين ٦٤/١ والكتاب ٤٣١/٤ والمقتضب ٣٢٨/١ والأصول ٣٩٩/٣ والصناعة ٥٠/١.
٢- صناعة الإعراب ٣٧/١.
٣- نفسه ٤٩/١.
٤- الخصائص ١٢٠/٣، ١٢١.
٥- لطائف الإشارات ١٧٨/١.
٦- دروس في علم أصوات العربية ص ١٥١.
٧- نفسه، ص ١٥١.
٨- التمهيد في علم التجويد، ص ٥٨ وينظر المحكم ص ٥٩ والنشر ١٢١/٢.

العرب، لأنها أخف من أختيها[١] . "اعلم أن الواو أثقل من الياء والألف، والمعني بالثقل أن الكلمة عند النطق بها تكون أكثر، والياء أخف من الواو، وأثقل من الألف. وإذا تدبرت ذلك عند النطق بالحرف وجدته صحيحا"[٢] .

وأصوات المد الثلاثة لا تكون كذلك إلا إذا سبقت بحركات من جنسها، فالألف دائما صوت مد. أما الواو والياء فتصيران من الأصوات الصامتة إذا تحركتا، قال سيبويه : "لما تحركت خرجت من أن تكون حرف لين وصارت مثل غير المعتل"[٣] . وتحدث ابن جني عن هذا المعنى قائلا : " إن الياء والواو لما تحركتا قويتا بالحركة، فلحقتا بالحروف الصحاح"[٤] .

و ذهب إبراهيم أنيس "إلى أن القدماء قد ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد. فقالوا مثلا إن هناك فتحة على التاء في (كتاب) وكسرة تحت الراء في (كريم) وضمة فوق القاف في (يقول). والحقيقة أن هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع، فالتاء في (كتاب) محركة بألف المد وحدها، والراء في (كريم) محركة بياء المد وحدها، والقاف في (يقول) محركة بواو المد وحدها. ويظهر أن الكتابة العربية في صورتها المألوفة من وضع فتحة على التاء في (كتاب) وكسرة تحت الراء في (كريم)، وضمة فوق القاف في (يقول) قد جعلت القدماء يتوهمون وجود حركات قصيرة في مثل هذه المواضع"[٥] .

و قال كمال محمد بشر : "والحقيقة أن هذه الأصوات من حيث النطق الصرف تقرب من الحركات في صفاتها، ولكنها في التركيب الصوتي للغة تسلك مسلك الأصوات الصامتة، ومن هنا كانت تسميتها بأنصاف حركات[٦] .

وحددت الدراسات الصوتية الحديثة بأن وضع اللسان يكون أضيق ما يكون في الضمة والكسرة، ويكون أوسع في الألف، فيتوافر للصوت من القوة في هذه الحال ما لا يتوافر له في الحالتين السابقتين، ولذا عد المحدثون صوت الفتحة أقوى الحركات جميعا. ويكون من الخطأ مقارنة السكون بالفتحة كما هي الحال بين الكسرة والضمة، إذ السكون أمر عدمي لا قياس له ولا مخرج.

وفي الحقيقة أن بين الحركات الثلاث شبها كبيرا من حيث إنها توصف بالانطلاق أي لكونها مجهورة. ومن ثم كان العبء الذي يتحمله جهاز النطق في إنتاجها متقاربا ، فينزع المتكلم إلى التخلص منها في مواضع معينة دون تفرقة بينها في المعاملة . فالقضية في الواقع قضية الحركة أو عدمها ، وليست

١- الكتاب ٤/١١٤، ١١٥، ٣٣٥.
٢- ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف لابن جني، ص٤١٠.
٣- الكتاب ٤/١٩٣.
٤- صناعة الإعراب ١/٢٢.
٥- الأصوات اللغوية، ص ٣٩ ومدرسة الكوفة ص ١٧٩.
٦- علم اللغة العام، الأصوات، ص ١٧١.

قضيـــة حركة بعينها[١] .

والشائع في كتب التراث أن أصوات المد الثلاثة : الألف والواو والياء أصوات ساكنة إذا كانت مسبوقة بحركات من جنسها. هذا موقف العلماء المشهورين[٢] . فهل يستساغ أن تكون (من) مثل (ما) من الناحية الصوتية؟ السكون خلو العضو من الحركات عند النطق بالحروف، أو سلب الحركة وعدمها من النطق[٣] ، وبهذا المفهوم تكون أصوات اللين الثلاثة ليست من السكون في شئ، بل هي حركات ممدودة لما جانسها من حركات قبلها.

ولكن سيبويه أشار إلى أن الألف والواو والياء تنقسم إلى حية وميتة، فالحية هي المتحركة منها (الواو والياء) والميتة الساكنة. لذلك كانت الألف ميتة دائما، لأن السكون لا يفارقها، قال : "وإنما جسروا على حذف الألف، لأنها ميتة لا يدخلها جر ولا رفع ولا نصب"[٤] . وقال في واو (جدول) : "وذلك لأن هذه الواو حية"[٥] . لأنها متحركة .

و لهذه الإشارة صداها فيما ذكره الأخفش : "اعلم أن الكلام أصوات مؤلفة. فأقل الأصوات في تأليفها الحركة، وأطول منها الحرف الساكن، لأن الحركة لا تكون إلا في حرف، ولا تكون حرفا. والمتحرك أطول من الساكن، لأنه حرف وحركة [...] فالمتحرك حرف حي، والساكن ميت"[٦] .

و يأتي القسطلاني (٩٢٣هـ)، فيتصرف في هذه الفكرة فيقول : "وأما السكون فنوعان : حي وميت. فالثاني الألف وأختاها، لأنهن لاحيز ولا مقطع لهن، فإن انفتح ما قبل الواو والياء، فسكونها حي لأخذ اللسان الياء، والشفتين الواو كسائر الحروف"[٧] .

يكمن الفرق بين القسطلاني وسابقيه في أن سيبويه يستعمل مصطلح (الحية) للدلالة على (الواو والياء) إذا كانتا متحركتين، فهما كباقي الحروف. أما القسطلاني فيطلق المصطلح للدلالة على الواو والياء الساكنتين، المفتوح ما قبلهما مثل يوم وبيت. ومن هنا نستنتج أن (ما) لا تساوي (من)، لأن الألف سكون ميت، وسكون النون حي.

وعالج ابن جني مرتبة الحرف من حركته وأيهما أسبق. وذهب إلى أنه قبل حركته لأن وجودها محوج إليه، ولا يجوز وجودها قبل وجوده[٨] . يدلك على ذلك أنك إذا أشبعت الحركة تممتها حرف مد[٩] . وهذا واضح في المراد في كون الصامت يحتاج إلى صائت ليتحرك حركة قصيرة أو طويلة.

١- عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص ٣٧٧، ٣٧٨.
٢- ينظر على سبيل المثال، الكتاب ٤٤٢/٤، ٤٤٧ والمقتضب ٢١٠/١، ٢١١ وصناعة الإعراب ٣١/١.
٣- شرح المفصل ٦٧/٩.
٤- الكتاب ٣٥٦/٣.
٥- نفسه ٤٦٩/٣.
٦- كتاب العروض، ص ١٢٣.
٧- لطائف الإشارات ١٨٧/١.
٨- صناعة الإعراب ٣٢/١.
٩ - نفسه ٣٤/١ والخصائص ٣٢١/٢.

آلة النطق كما وضعها أحد القدماء .

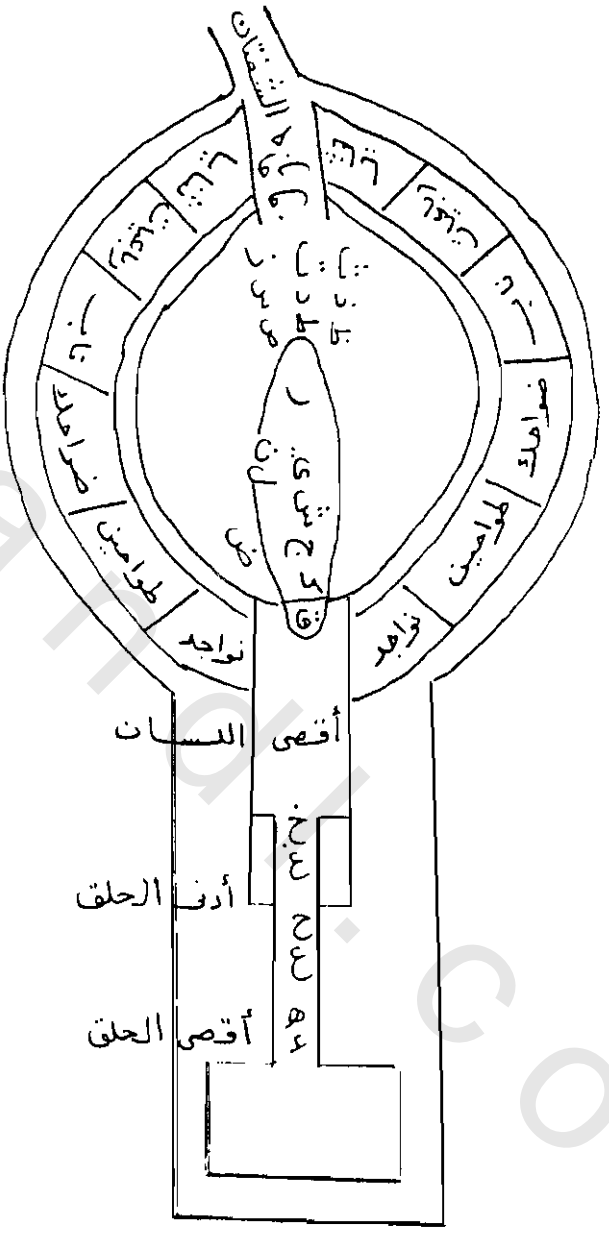

صورة آلة النطق عليها مخارج الحروف جاءت في ورقة مفردة في آخر كتاب الطرازات المعلمة في شرح المقدمة لعبد الدائم بن علي الأزهري المتوفى سنة (870 هـ) بمكتبة المتحف ببغداد رقم " 20165 " .

نقلناها عن كتاب الدراسات الصوتية عند علماء التجويد للدكتور غانم الحمد، ص 112 .

ومثل هذه الصورة تقريبا وجدناها في مخطوط رقم 770 بالمكتبة الوطنية بتونس، وعنوانه : شرح النونية في القراءات لابن القاضي (توفي 1082 هـ) الورقة رقم 4 .

obeikandl.com

جهـــاز النـطـــق

أعضاء النطق كما تصورها القدماء .

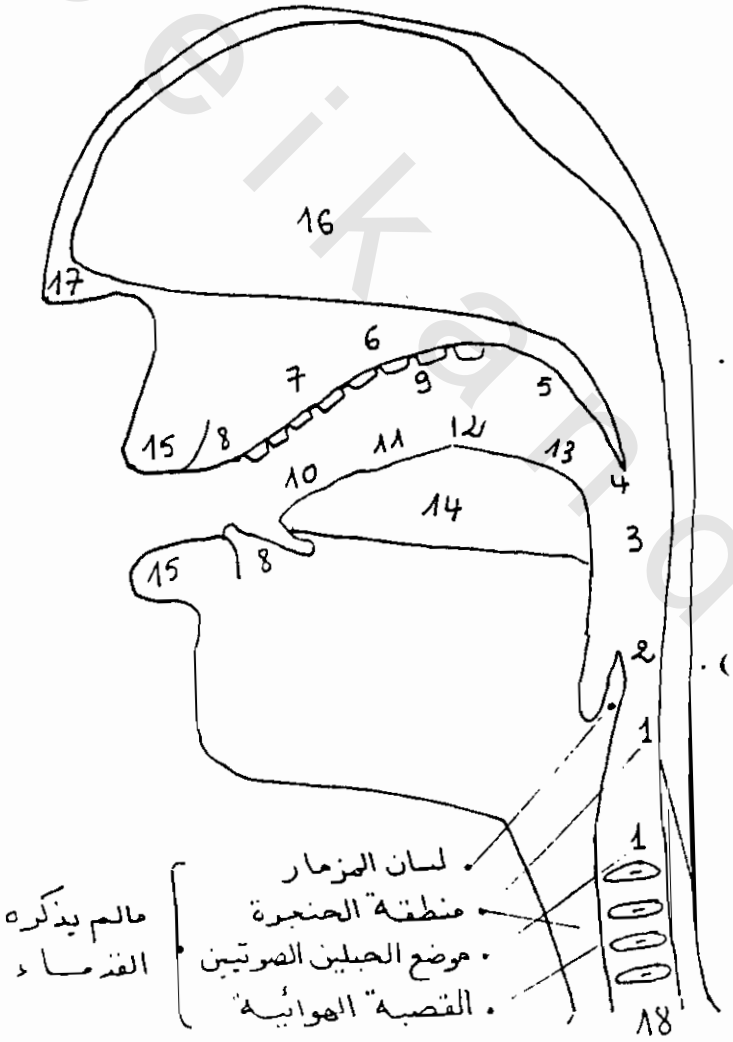

1 - أقصى الحلق .

2 - أوسط الحلق .

3 - أدنى الحلق .

4 - اللهاة (مفرج الفم) .

5 - أقصى الحنك الأعلى (الشجر) .

6 - وسط الحنك الأعلى (الغار) .

7 - أصول الثنايا (الأسلة) .

8 - الثنايا .

9 - الأضراس العليا .

10 - مستدق طرف اللسان (الأسلة) .

11 - طرف اللسان .

12 - ظهر اللسان .

13 - أقصى اللسان (العكدة) .

14 - حافة اللسان (حرفه) .

15 - الشفتان .

16 - الخياشيم (تجاويف الأنف) .

17 - فتحة الأنف .

18 - الجوف (الصدر) .

ملاحظة : استعنا في رسم هذه الصورة بما وضعه علماء أصوات العربية، مع التعديل .

obeikandl.com

صفات الأصوات كما تصورها القدماء

الألقاب	الحروف	الصفات															
		صفات قوية									صفات ضعيفة						
		صفات لها أضداد					صفات فرائد					فرائد	صفات لها أضداد				
		الجهر	الشدة	الإطباق	الاستعلاء	الإصمات	الصفير	القلقلة	الانحراف	التكرار	الاستطالة	التفشي	الليّن	الهمس	الرخاوة	الانفتاح	الاستفال	الذلاقة
حلقية	ء	+	+			+										+	+	
	ه					+								+	+	+	+	
	ع	+	×			+									×	+	+	
	ح					+								+	+	+	+	
	غ	+			+	+									+	+		
	خ				+	+								+	+	+		
لهوية	ق	+	+		+	+		+								+		
	ك		+		+									+		+	+	
شجرية	ج	+	+			+		+								+	+	
	ش					+						+		+	+	+	+	
	ي	+	×			+							+		×	+	+	
	ض	+		+		+					+				+			
ذلقية	ل	+	×						+						×	+	+	+
	ن	+	×												×	+	+	+
	ر	+	×							+					×	+	+	+
نطعية	ط	+	+	+		+		+										
	د	+	+			+		+								+	+	
	ت		+			+								+		+	+	
أسلية	ص			+		+	+							+	+			
	س					+	+							+	+	+	+	
	ز	+				+	+								+	+	+	
لثوية	ظ	+		+		+								+	+			
	ذ	+				+								+	+	+	+	
	ث					+								+	+	+	+	
شفوية	ف					+								+	+	+	+	+
	و	+				+							+		+	+	+	
	ب	+	+					+								+	+	+
	م	+	×												×			+
جوفية	واي					+								+	+	+	+	
غنة	ن م	والنون الساكنة والتنوين حين إدغامهما دون أن إخفائهما. والميم إذا أخفيت عند الباء																

obeikandl.com